وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر *بسكرة*

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية – قطب شتمة –

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنـــوان المذكرة

الأوضاع الثقافية ببايلك الغرب أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال

(1792 - 1847 م)

مذكـرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المـعاصر

إعداد الطالب :

- غجاتي حسام الدين

إشراف الأستاذ:

مسعودي كمال

السنة الجامعية:2016 / 2017

الفهرس

العنوان	الصفحة
مقدمة.....	أ
الفصل الأول: دور التعليم في بايلك الغرب الجزائري.....	7
أولا: المساجد	7
1 -المفهوم ونشأة	7
2 -المساجد بالغرب الجزائري	11
أ - مساجد تلمسان وندرومة	12
ب -مساجد بوهران ومعسكر.....	13
ج -مساجد مستغانم ومازونة	15
ثانيا: الزوايا	18
1 -الطريقة	19
2 -أهم الزوايا بالغرب الجزائري	21
ثالثا: المدارس	27
1 -مدرسة مازونة	29
أ - نشأة المدرسة	30
ب -تطور المدرسة	31
2 -المدارس المحمدية	34
3 -مدرسة خنق النطاح	38
رابعا: المكتبات	39
1 -تعريف	39
2 -نماذج مكتبات بالغرب الجزائري	42
الفصل الثاني: المظاهر الثقافية ببايلك الغرب الجزائري.....	45
أولا : الفنون الأدبية (الشعر)	46
ثانيا: الفنون المعمارية	57

1 -العمارة الدينية 57
أ - مسجد الباي محمد الكبير 57
ب -جامع باشا 58
2 -العمارة المدنية 67
أ - الحمامات(حمام المور) 67
ب -قصر الباي(القصر الجديد) 72
ثالثا: أشهر الأعلام ببايلك الغرب 78
1 -الباي محمد الكبير 78
2 -علي بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي 81
3 -أبي راس الناصري 82
4 -بن هطال التلمساني 86

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في الغرب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي 88

أولا : أوضاع المؤسسات الثقافية في بدايات الاحتلال 89
ثانيا: الحياة الفكرية والتعليمية في دولة الأمير عبد القادر 96
1. الأمير عبد القادر الجزائري 96
2. دلائل اهتمام الأمير عبد القادر بالتعليم 98
أ. تنظيم الهياكل التعليمية 101
ب. المؤسسات الثقافية 102
ثالثا: أعلام الفكر والثقافة 106
1. علي بن حفاف 106
2. الحاج علي بوطالب 107
3. الطاهر بن حوا 109
4. قدور بن رويلة 110
5. أحمد التهامي 111
6. مصطفى ابن التهامي 112
7. العربي بن عبد القادر المشرفي 113
8. الطاهر المشرفي..... 114

الخاتمة..... **119**
الملاحق..... **121**
البيبليوغرافي..... **130**

المقدمة

عرف تاريخ الجزائر في العهد العثماني والعهد الاستعماري إهتماما بالغا من طرف العديد من الباحثين، وهذا ما كان وراء عدة دراسات جادة ومعتبرة ،ورغم ذلك فان الباحث يجد نفسه أمام العديد من المواضيع التي لاتزال مهملة، اومغيبة،وتحتاج إلي البحث والدراسة ،لان اغلب الدراسات تركز علي العاصمة الجزائر أو علي كامل البلاد،وبقية مناطقها الأخرى مجهولة الجوانب دراسة ،أو يشار إليها عرضا ،فالدراسات المتعلقة ببايلك الغرب قليلة جدا ونادرة،وإذا وسعنا الحلقة إلي تلك المدن التي كانت تعتبر من ابرز الحواضر فإننا لنكاد نجد إلا القليل من الدراسات ،كما هو حال مدينة وهران ،أوتلمسان أومعسكر أومستغانم.

لذا يدخل موضوع بحثنا هذا في إطار إماطة اللثام عن تاريخ الغرب الجزائري واهم حواضره التي كان لها دور هام في تدوين تاريخ الجزائر في العصر الحديث والمعاصر،خاصة في المجال الثقافي، ذلك أن الغرب الجزائري من أهم المراكز إشعاعا ثقافيا ،خاصة وانه يحتوي علي مؤسسات تربوية وتعليمية من مساجد وزوايا وكتاتيب ومدارس ،ضف إلي ذلك انه"بايلك الغرب " ورغم الضر وف الحربية منها

مع الاحتلال الاسباني أو الفرنسي لم يتخلي عن أهم شعاراته الإسلام والغة العربية،

حيث ساهمت عوامل عديدة ومختلفة في إثراء الحياة الثقافية ببايلك الغرب ,منها كون المنطقة منطقة عبور للأشخاص والمنتوجات,وأمور أخري لتلقي العلم نضرا لكون المنطقة مزيج ثقافي بين حضارة الأندلسيين وكذا غنائها بالتراث الذي يستقطب المهاجرين .

نقطة هامة أخري يجب أن تذكر هنا ,وجود شخصيات ذات مكانة وثقافة غزيرة في بايلك الغرب منها الباي محمد بن عثمان الكبير،الذي حضي بمكانة مرموقة في مجتمع الغرب الجزائري ،من خلال انجازاته الحضارية التي ساهمت في دفع حركة التعليم والثقافة،بالإضافة إلي شخصية أخري حضية كذلك بنفس المكانة ألا وهو الأمير عبد القادر ،ورغم مقاومته للمستعمر الفرنسي إلا انه ساهم بجهد كبير في بعث الحياة الثقافية بالمنطقة .

وإدراكا منا بأهمية هاته العوامل والجوانب في فهم الحياة الثقافية والعلمية ببالبك الغرب الجزائري ارتأيت إلي تناول جانبا منه تحت عنوان:

(الأوضاع الثقافية لبايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني وبدايات الاحتلال)

وقد عالجنا هذا البحث انطلاقا من الإشكالية التالية:

" إلي أي مدي ساهم التواجد العثماني في إثراء الحياة الثقافية ببالبك الغرب الجزائري ،ومامدي تأثير الاستعمار الفرنسي عليها ؟ "

وللإجابة عن هاته الإشكالية الرئيسية نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

- ماهي ابرز المؤسسات الثقافية في الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني ؟
- ماهو الوضع الثقافي السائد في بايلك الغرب وماهي توجهاته ؟
- كيف اثرت شخصية الباي محمد الكبير علي الحياة الثقافية والعلمية في بايلك الغرب؟
- هل كان للتواجد العثماني في الجزائر اثر ايجابي أم سلبي ؟ وماذا خلف العثمانيين من ارث للجزائر؟

- كيف كان الوضع الثقافي بالغرب الجزائري في بدايات الاحتلال، وماهي حالة المؤسسات الثقافية في ضل تواجد الاستعمار الفرنسي ؟
- ماهي ردود فعل الأمير عبد القادر الثقافية لمجابهة الاستعمار الفرنسي، وماهو دور ابرز علماء عصره في ذلك؟

دوافع اختيار الموضوع:

يمكن حصر أسباب اختيارنا للموضوع في:

الأسباب الذاتية والتي تتمثل في معرفة جزء هام من تاريخ الجزائر المعاصر بصفة عامة ومنطقة الغرب الجزائري بصفة خاصة واهم ذلك مرحلة تحرير العثمانيين للغرب الجزائري من الاحتلال الاسباني نهائيا .

إما الأسباب الموضوعية فتتمثل في إدراكنا لأهمية الدراسات الاجتماعية والثقافية بصورة أكثر وضوحا ,في تاريخ الجزائر بصفة عامة ,والغرب الجزائري بصفة خاصة.

إن هدفي من هذا البحث أو الموضوع هو الإسهام بجهد كبير ومتواضع في المجال الذي يتعلق بفترة حساسة من تاريخ الجزائر المعاصر ,وهي إبراز الجوانب التي تتعلق بالوضع الثقافي والعلمي في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني ,ومحاولة إبراز كذلك مدي تأثير الأتراك أو العثمانيين علي المجتمع والفرد في الغرب الجزائري.

كذلك إبراز دور المؤسسات الثقافية والعلمية في توسيع العلاقات الاجتماعية بين مختلف الفئات حيث تعتبر مراكز لنشر التعليم وملتقي لتبادل الأفكار.

خطة الموضوع:

ولدراسة هذه الإشكالية تم تقسيم البحث إلي ثلاثة فصول.

تناولت في الفصل الأول دور التعليم أي المؤسسات التعليمية في الغرب الجزائري ، من مساجد وزوايا ومدارس ومكتبات، كما تم التعرف الين نشأة هذه المؤسسات في الغرب وإبراز دورها في التعليم وحتى الجهاد، لأنه كل من الحكام الأتراك والمجتمع الجزائري اهتم بها لأنها أساس الازدهار.

وقمت في الفصل الثاني بإبراز أهم المظاهر الثقافية، والتي منها الفنون الأدبية(الشعر)، لإظهار دور الكتابات الشعرية في المجتمع، أما ثانيا فكان إبراز نوع آخر من الفنون وهو الفنون المعمارية وقد قسمته أيضا إلي قسمين عمارة دينية وعمارة مدنية وذلك للتعرف علي مدي اهتمام الحكام بالبناء والتشييد، وفي آخر الفصل ارتأيت لإعطاء لمحة حول أهم الشخصيات التي كان لها دور كبير في الحياة الثقافية ببايلك الغرب أواخر العهد العثماني.

أما الفصل الثالث والذي خصصته لشرح الوضع الثقافي في الغرب الجزائري في بدايات الاحتلال، فقمت أولا بإعطاء لمحة عن حالة المؤسسات التعليمية والحركة الفكرية خلال الفترة الاستعمارية الأولي، أما ثانيا فكان إبراز دور الأمير عبد القادر في المواجهة الثقافية للاستعمار الفرنسي،بتشجيعه للتعليم وبناء المؤسسات التعليمية، وفي أخر الفصل قمت بإعطاء نبضة عن حياة ابرز الشخصيات، والتي كان لها دور كبير في الحركة الثقافية والفكرية في دولة الأمير عبد القادر.

المناهج المتبعة:

و لدراسة الموضوع دراسة علمية تتماشى وطبيعته يقتضي بنا توظيف عدة مناهج لمعالجة كل الجوانب المتعلقة به فتم توظيف:

المنهج التاريخي الوصفي : كأصل عام في سياق وعرض بعض الوقائع التاريخية وأحداثها وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا، ووصف بعض الهندسيات العمرانية.

المنهج التحليلي: وذلك من خلال دراسة المادة العلمية وتحليل الوقائع ونقد بعض الجوانب

في البحث مثلا تحليل بعض الأحداث خلال الحقبة العثمانية ومتمثلة في أبرز أعمال الباي محمد الكبير.

المنهج المقارن : إذ كان له دور في مقارنة بعض الأحداث التاريخية وذلك لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف بين فترة وفترة أخرى ولعل أبرزها مقارنة الوقائع التي كانت في فترة الدولة العثمانية باعتبارها سابقة لتأسيس دولة الأمير عبد القادر، بتلك التي كانت في عهد الدولة الأميرية.

الصعوبات التي واجهتني: لا أدعي في هذا البحث أني لم أواجه صعوبات أعاقتني من المواصلة قدما، ولكن توجيهات المشرف وتشجيعه المتواصل وثقته الكبيرة التي قلدني إياها جعلتني أذلل الصعاب وألج الشعاب وأحاول بلوغ القمم، ومن أهم المشاكل التي واجهتني قلةّ المراجع التي تناولت هذا الموضوع، خاصة خلال العهد العثماني فإن العديد من الجوانب في شخصية الباي محمد الكبير أو انجازاته لم تدرس بعد، وظف إلى ذلك أن ما تم العثور عليه من هذه الأحداث والوقائع في الكتب والدراسات السابقة كان جزئيا، ولم تقم أي دراسة في هذا الموضوع بدقة خاصة في هذه الحقبة الزمنية، والتي شهدت الانتقال من الحكم العثماني إلى الحكم الفرنسي.

الفصل الأول:

دور التعميم في بايلك الغرب الجزائري

-المساجد
-الزوايا
-المدارس
-المكتبات

تمهيد:

إذا كانت الحياة الثقافية هي الصورة المعبرة عن الوضع المجتمع في أي عصر فإنها كانت تحظى باهتمام الدولة والعناية من طرف البايلك وتمثل ذلك في تشيد المساجد والمدارس والكتاتيب والمكتبات وتوزيع الكتب عليها وعلى غيرها، هذا ما سيتم عرضه في هذا الفصل للتعرف على أهم المؤسسات الثقافية في الغرب الجزائري والتعرض إلى دورها في نشر العلوم الشرعية والمصارف، لأن هذه المؤسسات الثقافية أصبحت في العهد العثماني بالجزائر مهتمة بالتعليم أكثر من الثقافة بمفهومها الواسع كما هو معروف في وقتنا الحالي.

أولا: المساجد:

1.المفهوم والنشأة:

يشتق لفظ مسجد من الفعل (سجد، يسجد، سجودا)، وهو كل موضع يتعبد فيه، وسجد بكسر الجيم محراب البيوت ومصلى للجماعات وجمعها المساجد[1]، ويقال أيضا:

« المسجد الجامع فيكون لفظ جامع نعتا يشير إلى مسجد كبير تقام فيه صلاة الجمعة و يستعمل مسجد بمفرده عادة فيشير إلى مسجد صغير »[2].

ويعتبر المسجد من أهم المعالم الدينية الإسلامية حيث يتميز بعناصره المعمارية

---

[1] ابن منظور،محمد مكرم بن علي . **لسان العرب المحيط**. المجلد الثاني، بيروت: دار لسان العرب، دس، ص98.

[2] بوروبية، رشيد. **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية** ؛ ترجمة د. إبراهيم شيوخ، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر، 1979. ص 28.

المختلفة التي قد لا تجدها في المباني الأخرى، إن المساجد الأولى التي بنيت هي عبارة عن قطعة أرض متسعة مربعة تقريبا، تحيط بها أربعة جدران أو خندق وفي جهة القبلة سقيفة محمولة على عمد من جذور النخل أو عمد منقولة ، ولم يكن للمساجد الأولى مآذن[1]

كما يعرف المسجد في أنه المكان الذي تقام فيه الصلاة، مهما كان هذا المكان بسيط ولكنه عظيم، لأنه مقدس حيث لا تقاس عظمته بعمارته بل يتجمع الناس وتراحمهم

وبخشوعهم في الصلاة التي هي عماد الدين، فالمسجد هو المعبد في الإسلام وتبين كثير من الآيات في القرآن الكريم عظمته وقدسية المسجد مثل قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[2]. و قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾[3]

وقوله أيضا:

﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي

---

[1] **الموسوعة العربية المسيرة**. الشعب: القاهرة،(د.ت). ص 1696.

[2] الآية 01. **سورة الإسراء**.

[3] الآية 108. **سورة التوبة**.

سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وقوله عز و جّل:

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[2].

يتكون المسجد عادة من مبنى ذات ردهات كبيرة تستوعب على جموع المصلين الذين يتوافدون إليه للأداء الصلوات الخمس كل يوم، و دائما يستقبل المسجد القبلة المتمثلة بالكعبة المشرفة الواقعة بمكة المكرمة، و عندما ينادي للصلاة من الصلوات الخمس يقوم المؤذن بإقامة الصلاة و يقف إمام المسجد أمام الصف الأول من المصلين لأداء الصلاة من تكبير وركوع وسجود وختام للصلاة، ويصطف المصلون في المسجد على شكل صفوف خلف الإمام .**النشأة:**

يعتبر مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم النموذج الأول للعمارة الإسلامية، و الذي أنشأه أثناء هجرته إلى المدينة في السنة الأولى للهجرة (622هـ)، فهو أول مسجد بني في الإسلام و يسمى بـ مسجد التقوى «بني في مريد التمر الذي بركت فيه ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم »[3]

وقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في كل الأماكن التي انتشر فيها الإسلام.[1]

---

[1] الآية 19. **سورة التوبة**.

[2] الآية 18. **سورة الجن**.

[3] بن يليس، حكيم .**العناصر المعمارية و ضيفتها و زخرفتها في المساجد** . تلمسان (مذكرة ماجستير : تلمسان، 2004-2005). ص09.

ثم كثر إنشاء الساجد في أنحاء العالم الإسلامي وتطور الفن المعماري، الذي أصله التفكير الإسلامي، و يعتمد أساسا على التواضع، حتى أصبح الاعتناء بفخامة المباني نظرا لتطور أغراض المساجد التي طرأت في الحاضر كقاعات المحاضرات ومكان المكتبة الإسلامية.

إن المساجد أحب مكان في الأرض إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ولأجل هذا جعلت الأرض كلها مسجدا، فلأجل كل هذا حضي المسجد بكل الاهتمام من طرف المسلم « فالمسجد هو المعبد في الإسلام، هو البرلمان، وهو المدرسة ، وهو النادي، وهو المحكمة»[2].

وبعد تطور المجتمع، وتعقد الحياة الاجتماعية، ورغبة المسلم في معرفة أمور دينه ودنياه، أصبح المسجد مكانا للتشاور والخروج بالفتاوى الصائبة، كما كانت تلقى فيه الدروس التي تنفع المسلمين، ابتداء من تفسير القرآن الكريم إلى السنة النبوية الصحيحة.

ومن بين أهم الجوانب التي اهتمت بها المساجد: الجانب التربوي والتعليمي، وذلك بإقامة أقسام لحفظ القرآن الكريم، وإلقاء دروس والوعظ والإرشاد وإقامة مكتبة تنتمي لها الكتب الإسلامية والثقافية التي تشبع رغبة القارئ المسلم و تمده بما يحتاج إليه من زاد فكري

---

[1] شلبي،أحمد .**موسوعة التاريخ الإسلامي**. ج1، القاهرة: مكتبة النهضة. ص.1996.

[2] خلوصي، محمد ماجد. **عمارة المساجد**. دار قباس للطباعة و النشر و التوزيع، 1986، ص5.

وثقافي[1]، كما يجمع الباحثون على أن المساجد لم تكن مكانا للعبادة فحسب، إنما تعددت وظائفها سواء الاجتماعية أو الثقافية والسياسة والعلمية، فقد كانت مركزها علميا لدى المسلمين [2].

فتأخذه المسلمين مكانا للدراسة و أنشأت به مكتبة وتوضح الكثير من الدراسات في هذا أن المساجد قد ضمت القرآن الكريم ثم أضيفت بعد ذلك كتب دينية أخرى وكتب الفلسفة وأدبية والقانونية وعلمية[3].

2.المساجد بالغرب الجزائري:

لقد عرفت حواضر الغرب الجزائري مساجد متعددة حيث تعتبر من أهم المؤسسات الدينية و نواتها، و تتمركز وظيفتها الأساسية في أداء الصلوات و تحفيظ القرآن وتعليم الفروض المختلفة، وذكر محمد بن عبد الكريم في تقديم كتاب التحفة المرضية، أن المساجد ((قد كانت مرتعا لحركات الدروس اليومية، ومحظا لفنون العلم، التي كانت تدرس لذلك العهد لاسيما في القرى والمدن))[4]، وفيما يلي عرض لأهم هذه المساجد في الغرب:

أ. مساجد تلمسان وندرومة:

---

(1) خلوصي، محمد ماجد.المرجع السابق. ص 37.

(2) شرف الدين، عبد التواب. **لمحة حول الكتاب و المكتبات في الحضارة الإسلامية** . ط1، الدوحة: دار الثقافة،1986. ص. 171.

(3) الهواش، أبو بكر محمود .**لمحة حول الكتاب و المكتبات في الحضارة الإسلامية** . طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،1986. ص. 62.

(4) بن ميمون الجزائري، محمد .**التحفة المرضية في الدولة الباكداشية في بلاد الجزائر المحمية** . ت.ت: بن عبد الكريم، محمد، ش.و.ن. ت: الجزائر، 1972، ص 59.

تلمسان مدينة الحضارة والفن و التقاليد، هذه لافتة مزينة بها مدينة تلمسان ومدينة التي تقع في الغرب وهي معروفة بمعالجتها التاريخية والأثرية .

بلغ عدد المساجد في مدينة تلمسان خمسين مسجدا أغلبها صغيرة، وهناك من أعطينا رقما إجماليا للمدينة وضواحيها حيث بلغت ستين مسجدا، منها جامع سيدي بومدين والجامع الكبير وجامع محمد السنوسي وجامع أولاد الإمام وجامع المشور وغيرها، وهي مساجد فيها ما أنشأ أيام المرينيين والزيانيين، وما أنشأ في العهد العثماني [1] ،فمثلا ومن بين أهم المساجد التي سنقوم بتعرف بها هو مسجد أقادير، لأنه يعتبر من أقدم المساجد بها، يقع هذا المسجد الذي يرجع تأسيسه إلى عهد الأدارسة، في شمال منطقة أقادير الحالية في مسلك منحدر يشرف على البساتين والحقول المؤدية إلى ضريح سيدي الداودي، وينسب تأسيسه إلى المولي إدريس بن عبد الله الحسن عام (174هـ/791م)[2].

ومن أشهر المساجد في ندرومة « **الجامع الكبير**» الذي يوجد بحي التربيعة والذي يعود تاريخه إلى القرن الحادي عشر ميلادي، أي إلى عهد المرابطين[3].

تعرض الجامع الكبير كغيره من الجوامع في الحواضر الجزائرية إلى العديد من الإصلاحات والترميمات والتجديدات، بعضها مسجل كتابيا كالمئذنة المضافة في العهد

---

(1) أبو القاسم، سعد الله .**تاريخ الجزائر الثقافي**. ع1، 1500–1830، الجزائر: دار البصائر ، 2007، ص250.

(2) محمد بن مضان، شاوش . **باقة السوسان في تصريف تلمسان عاصمة الدولة بني زيان** . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995. ص. 56.

(3) الواليش، فتيحة. **الحياة الحضاري في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر** . رسالة ماجستير(منشورة)، معهد التاريخ: جامعة الجزائر، 1993 –1994، ص168.

الزياني عام (749/1348/1349م) [1]، فقد بلغ عدد مساجد مدينة ندرومة إلى اثنا عشر مسجدا[2].

إن للمسجد الكبير بمدينة ندرومة الفضل في إقبال السكان إقبالا كبيرا ومكثفا على حفظ القرآن والعناية بشرحه وفهم أحكامه وأصوله، والعمل بها خاصة في الفترة المعاصرة (الفترة الاستعمارية)، فقد استقطب المسجد علماء إجلاء و تفانوا في خدمة العلم وتكوين الأجيال وتربية العقول وتهذيبها، وقاوم بإصرار أساليب الاستعمار والتخريبية خاصة في مجال سياسة التنصير والتجهيل، وعمل على صيانة وحفظ الوجه الإسلامي للجزائر [3].

ب. المساجد بوهران و معسكر:

تتميز مدينة وهران بكثرة المساجد التي تؤدي وظائف دينية و ثقافية، و من ين هذه المسجد **مسجد سيدي الهواري.** الذي أمر ببنائه الباي عثمان بن محمد ويقع في حي القصبة[4].

والولي الصالح سيدي الهواري قد تربى بين أهله وعشيرته وحفظ القرآن الكريم وأحب التصوف منذ صغره، ثم كان له وجهات مختلفة إلى ولايات الوطن[5].

---

(1) الزين، محمد .**العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر**. رسالة ماجستير (منشورة)، قسم الثقافة الشعبية: جامعة تلمسان، 2002-2003، ص52.

(2) الواليش، فتيحة. المرجع نفسه. ص168.

(3) بوعزيز، يحي. **مدينة وهران عبر التاريخ**. الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، (د . ت)، ص 177-182.

(4) أبو القاسم، سعد الله . مرجع سابق. ص 102.

(5) بوعزيز، يحي. مرجع سابق. ص168.

ومسجد الباي محمد الكبير (المعروف بمدرسة خنق النطاح)، هذه كذلك مسجد الباي محمد الكبير المعروف بـ **مسجد المستشفى**، أو جامع السبيطار بوهران القديمة، أنشأه الباي محمد الكبير عثمان، بعد فتح وهران للمرة الثانية والأخيرة (1207هـ/1792م).

أما مسجد البرانية الذي أسسه بوشلاغم عام (1708م) للتجار الأجانب الذي يحضرون إلى مدينة وهران[1].

أسس جامع ((باشا)) [2] (**أنظر الملحق رقم(01)**) من طرف الباي محمد الكبير بمدينة وهران عام (1796م) بأمر من الداي حسين باشا، أو كما سمي « بابا حسن » احتفالا بالفتح الكبير لمدينة وهران وتحريرها من العدو الاسباني الذي داما فيها قرابة ثلاث قرون وبرج جامع باشا شمال المدينة[3].

أما مساجد مدينة معسكر، فأهمها المساجد الثلاث الرئيسية: مسجد السوق والمسجد العتيق، المسجد الكبير، وقد استفادت هذه المساجد من إصلاحات الباي محمد الكبير العمرانية و الثقافية [4]، فقد شيد المسجد الكبير في عهد يوم 5 ذو القعدة 1195هـ ويسمى بمسجد عين البيضاء(**أنظر الملحق رقم(04.03.02)**) .

---

(1) أبو القاسم، سعد الله. مرجع سابق. ص102.

(2) أسس هذا المسجد في شمال الشرقي للمدينة القديمة، على اليميني الشرقية لوادي الرحي، الذي يعرف اليوم بوادي رأس العين في سفح شديد الانحدار، جنوب غرب برج الامحال، أو البرج الأحمر. أنظر: بوعزيز، يحي . **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**. منشورات، ص60.

(3) بوعزيز، يحي .المرجع سابق. ص67.

(4) الواليش، فتيحة .المرجع سابق. ص168.

أما مسجد السوق أو الجامع الكبير فيرجع تأسيسه إلى الباي الحاج عثمان سنة 1160هـ، وهي سنة توليه بايا على الإيالة الغربية للجزائر (الباي الثالث والعشرون للإيالة وتوفي بمعسكر و دفن بها).

كما بني الدار والقبة الملاصقة للجامع نفسه، المعروفة عند الناس بقبة الباي إبراهيم لكونه مدفون داخلها، و تعرف بقبة الشيخ عبد القادر الجيلالي وأمر بكتابة اسمه وتاريخ بنائها ونقش على الحجارة[1]، أما أهم مساجد الأحياء، فنذكر منها **مسجد حي عرقوب إسماعيل**[2].

ج. مساجد مستغانم ومازونة:

من أهم المساجد العتيقة بمدينة مستغانم، مسجد " سيدي يحي بن ستي "، يعود تاريخ هذا المسجد إلى أوائل القرن السابع هجري، وهو متوارث في المصادر المكتوبة والشفوية المتوارثة، ويزيد عمره على حوالي سبعة قرون ونصف القرن، ويلاحظ أن هذا المسجد العتيق يحتوي على قاعة صلاة فسيحة الأرجاء وشكلها مستطيل، وقد تتلمذ عدد كبير من الطلاب فيه وقد تخرج منه جملة من العلماء وكغيره من المساجد، ازدهر في العصر الإسلامي أدى رسالته[3].

---

(1) مهريس، مبروك .**المساجد العثمانية بوهران ومعسكر**. ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، 2009، ص47،47.

(2) الواليش، فتيحة .المرجع السابق. ص168.

(3) بوعزيز، يحي .المرجع السابق. ص193..

أما المسجد **الأعظم** الذي أمر بتأسيسه بمدينة مستغانم السلطان المريني أبو الحسن في حدود عام (739هـ)، وكان للمسجد الكبير دور فعال في الجانب الديني من خلال الوعظ والإرشاد فالجانب التعليمي التربوي، كان هذا المسجد خزان ممتلئة بمختلف الكتب والمخطوطات في مختلف العلوم و الفنون[1]. ومنه فقد بلغت مساجد مدينة مستغانم خلال العهد العثماني 11 مسجدا[2].

أما مساجد مدينة مازونة وحسب بعض المصادر الشفوية، فإن أول مسجد بني هو مسجد **سيدي عيسى وعزوز ابن يحي المفراوي** ، ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن السابع هجري، وفيه بدأ تعليم القرآن الكريم كفريضة دينية واجبة على أفراد المجتمع تعلمها و تعليمها[3]« سيدي عبد الحق المطهري التلمساني المازوني ».

بعدها شيد مسجد سيدي صالح بناحية بوعلوطة، وقد اشتهرا هذا المسجد بتلقينه للعلوم الدينية واتسم في أداء وظيفته التعليمية إلى غاية الوجود العثماني، شيد بعد ذلك جامع **سيدي أمحمد الغريب** الذي يعد من أبرز مراكز التعليم بالمدينة[4].

---

(1) بوعزيز، يحي .المرجع السابق.ص 197.

(2) الواليش، فتيحة .المرجع السابق. ص168.

(3) بوكفة، يوسف . **مدرسة مازونية الفقهية: النهضة و السقوط** . رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علوم الاجتماع: جامعة وهران، السنة الجامعية (2002-2003)، ص 89.

(4) بوكفة، يوسف .المرجع نفسه. ص 89.

وهناك مساجد أخرى بالغرب الجزائري على غرار التي ذكرناها، عموما تذكر بعض المصادر أن إقليم وهران كان يضم مئة وواحد وخمسون (151) مسجدا منها فقط ثلاث مساجد بنيت وقت الاحتلال الفرنسي، وهو رقم أكثر من إقليم العاصمة(الوسط) و أقل بكثير من مساجد قسنطينة (الشرق) حيث بلغ عددها ثماني مئة وثلاثة وسبعين (873) مسجدا[1].

ثانيا. الزوايا:

الزوايا جمع زاوية، وهي مؤسسة شاملة حيث أنها مسجد للعبادة ومدرسة للتعليم خزان للمحفوظات والكتب وملجأ للهاربين ومأوى للغرباء ومركز للفقراء، وهي مركز للطرق الصوفية في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة [2]. وهي في نفس الوقت مراكز للعلوم والثقافة.

يعتبر الطرق الصوفية التي تتبعها الزوايا من الملامح الهامة في تاريخ المغرب الإسلامي، وثّقة وثائق تدل على ازدهارها منذ القرن الحادي عشر ميلادي[3].

نشأة الزاوية في المشرق العربي، وكان يقصد بها المسجد الصغير، وذلك للتمييز بينها وبين الجامع أو المسجد، وقد استقر ذلك المفهوم ولم يتغير ، و كلمة الزاوية تعني **تيكي**

---

[1] بوليربي،(Bolerby) .**المجلة الشرقية الجزائرية**. عدد 1853، ص 60-62.

[2] البشير الإبراهيمي، محمد .**عيون البصائر**. ط1، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزريع ، 1971، ص244.

[3] روم،لاندو .**تاريخ المغرب في القرن العشرين**؛ تر. نيقولا زيادة، بيروت: دار الثقافة، 1963. ص.137.

(**tekkie**) بالتركية، و**خونق** (khaowak)، و**خالتيرخان (khaletuter-khawean**) في آسيا الوسطى و**خانق** (**khanak)** في الهند[1].

وأخذت الزاوية في شمال إفريقيا معنى يطلق على بناء الديني شبيهة بمؤسسة تعليمية تحتوي في الغالب على قبة وغرفة للصلاة وضريح لولي صالح وغرف لتحفيظ القرآن واستقبال الزائرين، ويؤكد الأستاذ سعد الله أن بناءها يختلف عن المسجد والمدرسة، فالزاوية غالبا ما تجمع بين هندسة المسجد والمنزل وهي في الجملة قلقلة الأسوار منخفضة القباب قليلة النوافذ، إذ كان لها مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة فالزاوية من الناحية الهندسية ليست جميلة، شكلها يوحي بالعزلة والتقشف و الهدوء[2].

1. الطريقة:

في اللغة هي السيرة، وطريقة الرجل: مذهبه، يقال « مازال فلان على طريقة واحدة، أي على حاله. وفلان حسن طريقه، والطريقة الحال »[3].

أما اصطلاحا فقد تعرف الطريقة بمعنى المسلك عند الاستعمال وعرفت بالسبل، إن أوظيفة لها التاء الساكنة تمذهبت وأصبح يقصد بها تيار ما. وإذا أخذت القاف موقع الياء والياء موقع القاف أصبحت تعني أهل السبل والأهواء، وقد يتراوح هذا المعنى الدجالين

(1) Xavier, Comppolami et Octave Dépont .**Les confréries religieuses musulmenes**. Alger: Adolphe Jordan, 1897, p.205.

(2) أبو القاسم، سعد الله. مرجع سابق. ص132.

(3) ابن منظور. مرجع سابق. ص221 .

والمشعوذين، ويرد مصطلح الطريقة والطرق في مقدمته كوصف لجماعة المتصوفة فيها سلكوا من السبل، يقول ابن خلدون: « و تبعهم في ذلك أهل الطريقة من اشتملت رسالة التبشيرية على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم »[1]. فالطريقة على رأيه هي الوظائف المحلية من ممارسات سلوكية المتصوف.

التصوف:

منزع علمي وعملي نزعت إليه الحياة الروحية الإسلامي، يخضع فيه الإنسان نفسه لألوان من الرياضة ولمجاهدة، ويعد فيها قلبه لمعرفة الحقائق عن طريق الكشف والمشاهدة، الصوفي هو من لبس الصوف على الصفا وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا ، وسلك منهاج المصطفى عليه السلام[.].

وتعرفها إيفون نيران: « أنها مدفن عائلة مرابطين، أي عائلة تملك الأصالة الدينية الوراثية، ويأتي إليها الناس لأداء الصلا ة، ثم ن أجل التعلم والعلاج وتحضى تعليماتها بثقة كبيرة، خصوصا وأنها تقوم على أسس خرافية وغير عقلانية»[2].

إن للطرق الصوفية أتباع ومؤيدين لهم رتب ودرجات بحسب تغلغلهم في الطريقة ومدى قربهم من شيخها فأتباعهم هم مقاديم (مقدم) وتطلق عليهم تسمية الفقراء، إشارة منهم لقوله

---

[1] ابن خلدون. **المقدمة**. بيروت: دار مكتبة الهلال،1991، ص296.

[.] آيات علجت، محمد الصالح . **صحف النصوص الجزائرية من 1920 – 1955م**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،2001، ص.31.

[2] تيران، إيفون .**المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة–المدارس و الممارسات الأجنبية والدين (1830–1880م)**. تر. اوزغلة، عبد الكريم. مراجعة وإشراف ماضي،مصطفى. الجزائر: دار القصبة للنشر والتوزيع ، 2007.ص.15.

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[1].

إن أولئك الأتباع هم الذين بمرور الزمن أسسوا عددا من الزوايا التي تسمى باسم شيخ الطريقة[2]، و يعرف الدكتور بوعزيز يحي الزاوية فيقول: « هي عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام، تشتمل على بيوت الصلاة كمساجد وغرف تحفيظ القرآن وأخرى لسكن الطلبة وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية والعلف وإيواء الحيوانات، ثم لا تخلو من خزانة كبرت أو صغرت تحتوي على عدد من الكتب والمخطوطات ذات الطابع الديني »[3].

2. الطرق الصوفية والزوايا بالغرب الجزائري:

لقد انتقل التصوف والزهد من المشرق الإسلامي إلى بلاد المغرب الإسلامي، وانتشر فيها أواخر العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، وكثرت الزوايا وانتشرت بشكل واسع ومكثف في القرن السابع عشر ميلادي، ثم بعده وخاصة خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر في القرنين التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ومن ضمن هذه الزوايا التي انتشرت بالجزائر.

---

(1) الآية 45. **سورة فاطر**.

(2) قدور، إبراهيم عمار. **زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها ونشأتها**. ديوان المطبوعات الجامعية،المطبعة الجهوية :وهران، 1997، ص32.

(3) بوعزيز، يحي .**المرجع سابق**.ص 15.

يمكن عرض هذه الزوايا في الجدول (1)[1]:

	السنة الهجرية	السنة الميلادية
الشاذلية	636 هـ	1258 م
العيساوية	639 هـ	1524 م
الكرزازية	1016 هـ	1608 م
الشيحية	1026 هـ	1615 م
الطيبية	1089 هـ	1679 م
الحنضالية	1114 هـ	1702 م
القادرية	1125 هـ	1713 م
الرحمانية	1208 هـ	1794 م
التجانية	1208 هـ	1794 م
السنوسية	1250 هـ	1835 م

جدول رقم: 01.

وكل زاوية من هذه الزوايا إلا ولها فروع كبيرة بعدة مناطق جزائرية متعددة تشمل كل جهات القطر [2].

[1] قمت شخصيا بتنظيم معلومات الجدول.

[2] بوعزيز، يحي . مرجع سابق. ص. 15.

لقد كانت الزوايا منتشرة كثيرا في الرب الجزائري، ويود ذلك إلى استمرار الجهاد في المنطقة دون غيرها ولقربها وتفاعلها مع المغرب الأقصى الذي كان يحتوي على الكثير من الزوايا المتواضعة، الذي لا يتجاوز عدد مريديها بضعة عشرات، وهناك المنتشرة في جزء كبير من المنطقة، فكان بتلمسان وحدها ثلاثون زاوية أشهرها **زاوية عين الحوت**[1].

وهناك العديد منها في معسكر وغريس حيث كانت تكثر الرحلة لطلب العلم وبزواياها وأهمها **زاوية القيطنة** التي كانت تدرس فيها بعض العلوم كالتفسير والحديث وعلوم اللغة[2].

لقد شكلت الزوايا مقر عبادة ودراسة كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة إضافة إلى كونها مقر نزول عابر السبيل حيث يجد المأوى والمأكل، كما لعبة في المجال الاجتماعي دورا هاما في التوسط لقضايا القضائية بين السكان، وذلك لغياب تعدد وانتشار المحاكم خاصة في الأوساط الريفية، كما لعبة أيضا في غياب المدارس دورا هاما في الحركة الثقافية والتعليمية وساهمت في توطيد العلاقات والروابط الاجتماعية، كان على مستوى المدن العديد من الوحدات الحرفية تخدم زاوية معينة، منخرطة في طريقتها وكان بإحياء المناسبات وممارسة تقاليد الزاوية. تعمل هذه الطرق على تدعيم العلاقات بين في العمل.

---

(1) بلهاشمي، ابن بكار .**حاشية رياض النزاهة على منظومة نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت و أولياء الله و أذكار الكتاب و السنة**. تلمسان: مطبعة ابن خلدون ، 1961، ص35.

(2) البوعبدلي، المهدي .« **وثائق أصلية تلقي أضواء على حياة الأمير عبد القادر** ». مجلة الثقافة، ع 75: الجزائر، 1983، ص142.

الوحدات الحرفية وتقوية شعور التضامن[1]، والطاعة للقوانين واحترام روح وأخلاق التدرج كما نضيف أن نفقات المناسبات كانت على حساب العمال وتؤخذ من صندوق الوحدة أي عن طريق الاشتراك.

وعموما فإن الدور السياسي والاجتماعي لهذا مؤسسات تجاوز الإطار الحضري، ولعبة الزوايا كمركز لطرق الدينية وظيفة هامة في دمج الشرائح و الجاليات الحضرية، حيث كان عدد هام من الزوايا ملتقى الحضر وفئات حضرية مختلفة، بغض النظر عن الانتماء العرقي أو الجهوي أو حي الإقامة أو المهنة.

وعلى مستوى الأحواز وفي الأرياف بصفة عامة، حيث انعدمت المدارس ولعبت الزوايا دورا هاما في هذا الميدان ونتعرض لهذا المجال الربط بين المدينة والعالم المحيط بها، وذلك في تركز الدور الذي لعبته الحواضر في التأثير على الريف، ونستطيع القول أنه كان للزوايا دورا هام.

ومن أهم الزوايا القادرية يمكن ذكر: زاوية القيطنة على واد الحمام التي أسسه الحاج مصطفى بن المختار الفريسي جد الأمير عد القادر سنة (1206 هـ/ 192 م) وعرفت في وألف الشيخ حي الدين كتابا ليلا في التصوف سماه « إرشاد المريدين ».

[1] الواليش، فتيحة . مرجع سابق. ص171.

تلقى الأمير عبد القادر عهده إشعاعا دينيا وثقافيا معتبرا ثم تولى شؤونها الشيخ محي الدين، وكثر عليه مريدو الطريقة والتصوف، حتى أصبحت كل قبائل الحشم تقدم له الصدقات وتقدره وتحترمه تربية روحية خلال زياراته المتعددة مع والده أو من خلال الزاوية (زاوية القيطنة)[1].

لقد كانت مدينة معسكر والوطن الراشدي قلة من العلماء والصلحاء، لطلب العلم والمعرفة خلال القرون الحادي وثاني وثالث عشر ميلادي وكذا القرن السابع والثامن والتاسع عشر ميلادي، وبرزت عدة زوايا ومعاهد علمية ودينية، كان لها الأثر الكبير في نشر العلم والثقافة بين أوساط الناس من أهمها:

- زاوية الشيخ محمد السليماني.
- زاوية الشيخ عبد الله بن عبد الرزاق الإدريسي.
- زاوية الشيخ محمد المشرفي الإدريسي.
- زاوية الشيخ عبد القادر المختار الإدريسي.
- زاوية الشيخ الخضير الصنهاجي الإدريسي.
- زاوية الشيخ عبد الرحمان المحمودي الإدريسي.
- زاوية الشيخ محمد بن الأعرج السليماني.

[1] بن عبد القادر، محمد .**تحفة الزائر**. دار اليقظة العربية: بيروت، 1964، ص932.

وهذه الزاوية كانت تقوم بتلقين مختلف العلوم، خاصة علوم القرآن والحديث والفقه وتسهر على إعالة طلابها من خلال ما تتلقاه من هبات وصدقات من أهل الخير والإحسان ومختلف الأملاك لوقفية[1].

زاوية القيطنة بمعسكر:

هي زاوية قريبة جدا من مدينة معسكر أي بقرية القيطنة ، كان والد الأمير عبد القادر (محي الدين بن مصطفى (1195هـ-1249م)) هو القيم على شؤون الزاوية، والذي كان صوفيا راسخ القدم في الطريقة القادرية، إذ لبس الخرقة القادرية من نقيب الأشراف السيد محمود ببغداد، و لقد ألف الشيخ محي الدين كتابا جليلا في التصوف " إرشاد المريدين "ولقد صحب محي الدين معه ابنه عبد القادر في رحلته إلى الحج زار معه بغداد وضريح سيدي عبد القادر الجيلالي[2].

ولقد تلقى الأمير عبد القادر تربية روحية خلال زياراته المتعددة مع والده أو من خلال زاوية والده بالقيطنة.

---

[1] بوعزيز، يحي .**المرجع سابق**. ص230.

[2] وكان والده أول من بايعه سنة 1832م، توفي الأمير بمنفاه بمدينة دمشق يوم 24 ماي 1883م، وعمره 76 سنة. أنظر: طالبي، عمار .**الامير عبد القادر و التصوف**. مجلة الثقافة، العدد 75، جوان 1983، ص255.

ثالثا. المدارس:

التعليم كان منتشرا، وكانت توجد خيام للتعليم الأطفال في القرى و الدواوير، والمدارس التي كانت تسمى المكتب أو **المسيد** بالمدن إضافة إلى أن كل جامع تقريبا كان يحتوي على مدرسة للتعليم.

التعليم الابتدائي: كان يشرف عليه المؤدب الذي يختاره سكان لذلك، باعتباره يعرف جيدا القراءة و الكتابة، ليقوم بمهمة تعليم التلاميذ، وكان المؤدب يتلقى أجره من الأوقاف إلى جانب ما يدفعه إليه بعض التلاميذ من مواد غذائية في بداية تعليمهم وفي الأعياد، وعندما يحفظون القرآن، ولم يمارس على المؤدب أي مراقبة رسمية ولكن كان أولياء التلاميذ يستطيعون عزله إذا أرادو.

أما أدوات الكتابة فهي الأقلام القصبية، الألواح الخشبية والصلصال لمحوها الصمغ و المصنوع من الصوف المحروق المخلوطة بالماء بمثابة حبر.

التعليم الثانوي: كان التلاميذ يواصلون تعليمهم الثانوي في الجامع أو في مدرسة تابعة للأوقاف، وكان التعليم مجاني، يقوم بوظيفته مدرس معين من طرف الباي، ويتلقى أجرته من الأوقاف و التي تتراوح بين مئة إلى مائتين فرنك سنويا، إضافة إلى ما يجلبه التلاميذ

من ضرورات الحياة [1]، و كان التعليم الثانوي يضم ألفين إلى ثلاثة آلاف تلميذ، يزاولون دراستهم في كل مقاطعة، و يمثل 20% من الشباب[2].

التعليم العالي: كان هو الآخر موجودا في بعض المدن الكبرى، حيث يواصل التلاميذ تعليمهم في العلوم الدينية المختلفة، وأهم المدن التي كان يزاول فيها أي تلمسان ووهران وغيرها، وأهم مواد التعليم العالي هي النحو والفقه الذي يشمل العبادات والتفسير والحديث والحساب والفلك بإضافة إلى التاريخ الطبيعي والطب[3].

لقد بلغ عدد مدارس تلمسان مدرستين، مدرسة الجامع الأعظم ومدرسة وادي الإمام، علما إن مدارس مدينة تلمسان كان عددها خمس مدارس[4]، إضافة إلى أنها تحوي على أهم المدارس في القديم **المدرسة التاشفية واليعقوبية**[5].

كما استفادت مدارس تلمسان من إصلاحات الباي محمد الكبير وذلك من أجل إعطاء

---

(1) M.Emerit .« **L'etat Intellectuel et un eral de L'Agérie en 1830**» , im, R.T.A.S.M.P, 2eme Semestre, Paris, 1954,p 05.

(2) أبو القاسم، سعد الله . **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث-بداية الاحتلال-** . ط3، ش.و.ز.ت: الجزائر، 1982، ص163.

(3) أبو القاسم، سعد الله . مرجع نفسه. ص165.

(4) الوليش، فتيحة المرجع سابق. ص 168.

(5) – المدرسة التاشفية: أنشأة هذه المدرسة السلطان أبو تاشفين عبد الرحمان فيما بين عامي (717-728هـ/1316-1327م) وكان موقعها جنوب الجامع الكبير، كانت مساحتها عظيمة و ما انطمست آثارها إلا بعد الاحتلال الفرنسي لتلمسان سنة 1874م. أنظر: شاوش، محمد بن رمضان . **باقة السوسان**. ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، 1985، ص397.

– المدرسة اليعقوبية: أنشأ هذه المدرسة السلطان أبو حمو موسى الثاني عام (765هـ/1363م) وكان موقعها شمال جامع سيدي إبراهيم المصمودي و سمية اليعقوبية نسبة إلى أبي يعقوب والد السلطان أبي حمو، لقربها من ضريحه. أنظر: شاوش، محمد بن رمضان .المرجع نفسه. ص399.

نفس جديد للتدريس بها، أما مدينتي مستغانم وندرومة فلم تكن تضم مدارس هامة، لكن لعبة المساجد وملاحقها دورا هاما في الحياة الثقافية، حيث أن التعليم بمدينة ندرومة حظي دائما بمكانة هامة في الثقافة المحلية، كما شكلت المدينة العاصمة الدينية بعد تلمسان على مستوى بايلك الغرب، ولعبت المؤسسات الثقافية لمدينة مستغانم دورا هاما في تنشيط الحياة الثقافية[1].

1.مدرسة مازونة الفقهية:

عرف أبي راس الناصري المدرسة بقوله: « المدرسة المتعارف عليها عندنا الآن هي التي تبنى لدراسة العلم أي لتعليمه أو تعلمه[2].

تقع مدرسة مازونة على اليسار الشمالي من المسجد العتيق، في شكل مستطيل من الجنوب إلى الشمال، ولها مساجد في الوسط تحيط بها بيوت لإقامة الطلبة وأخرى لحفظ القرآن الكريم، وفي الجهة الشرقية بجوار الممر الذي يؤدي إلى المسجد والمكتبة وأماكن الوضوء يوجد ضريح مؤسس المدرسة و المسجد، وهو « سيدي محمد ابن الشارف » من عائلة « سيدي هني » وقد درّس بهذه المدرسة 64 عاما، حتى توفي عام (1164هـ /1751م).

وقد اشتهرت مدينة مازونة التاريخية العريقة، بمدرستها الدينية المختصة في العلوم

---

(1) الواليش، فتيحة . مرجع سابق. ص168.

(2) بوعزيز، يحي . مرجع سابق. ص202.

والمعارف الدينية والدراسات الفقهية المختلفة، كالفقه وأصوله والخرائط وكذا علم التوحيد وعلم الحديث وعلم اللغة العربية من نحو وصرف، وعلم البلاغة و غيرها من العلوم[1].

أ. نشأة مدرسة مازونة:

تعتبر مدرسة مازونة رمزا حضاريا ومعلما ثقافيا للجزائر طيلة قرون عدة من الزمن تناولتها المصادر بإسهاب، ثم المؤرخون العاصرون بإنتاجات جمة، لذا كانت تقارن أيامها حسب بعضهم بالمعاهد العليا في فاس، تونس ومصر، لما تتوفر عليه من أساتذة وعلماء ذاع صيتهم في المغرب و المشرق [2].

إن المؤكد أن المازونة كانت تحوي أكثر من معلم ثقافي وعلمي، خاصة منها الزوايا والمساجد، كلها ساهمت في بعث الحركة العلمية طيلة العهد العثماني، و فترة الاحتلال الفرنسي، لكنها اشتهرت بمدرستها الفقهية التي بلغ صيتها عنان السماء، وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم سعد الله: « ... وهناك مدن أخرى في غرب البلاد كان وضعها غير مستقر أيضا، ولكن حظها من التعليم كان أفضل حظا من حظ وهران ... وكانت مدرسة مازونة مقصد العديد من الطلاب ...».

---

[1] الطاهر، جنان . **مازونة عاصمة الضهرة(ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري)** . الجزائر: مكتبة الرشاد للطبع والنشر والتوزيع، 2005، ص93.

[2] سعيدوني، ناصر الدين . **عصر الأمير عبد القادر**، ط 1، الكويت: مؤسسة جائزة العزيز سعود البسايطين للإبداع الشعري ، 2000، ص133.

ب. **تطور مدرسة مازونة:**

كان القرن السادس عشر نقطة تحول كبيرة في الحياة العامة لبلاد المغرب الإسلامي منها قدوم العثمانيين وتأسيسهم لدولة عاصمتها الجزائر، واشتدا الصراع بين المسلمين والمسيحيين برا وبحرا، وشرع حينها العثمانيون في تنظيم البلاد، فاختاروا مازونة أول مقر لبايلك الغرب قبل معسكر ووهران، فزاد بذلك الاختيار إشعاع البلدة سياسيا وثقافيا.

تطور مدرسة مازونة في العهد العثماني:

امتازت الجزائر بظهور مدرسة فقهية في نهاية القرن السادس عشر ميلادي نالت شهرة كبيرة، والتحق بها الطلاب من شتى البقاع، وكان لمؤسسها محمد ابن الشارف الأندلسي الفضل في اختيار مازونة موقعا لها.

وتذكر بعض المراجع أن المدرسة استمرت تشع بالمعرفة حتى بعد انتقال العاصمة الإقليمية من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران، وكانت مقصدا لطلاب النواحي الغربية ولاسيما ندرومة و مستغانم وتنس وتلمسان ووهران[1].

ويبدو أن المدرسة بلغت شهرتها مدى بعيد لتصل إلى المغرب الأقصى، فالتحق بها الطلاب وخاصة من إقليم الريف ومدينة فاس بالتحديد، واستمر هذا التوافد طيلة الخمسمائة

[1] أبو القاسم، سعد الله .**تاريخ الجزائر الثقافي**. مرجع سابق. **ص285**.

سنة التي عاشتها المدرسة[1].

ونظرا للمكانة العلمية التي تحظى بها المدرسة، فقد كان يقصدها فقط المتفوقين عن أقرانهم في الزوايا ومدارس بلدانهم، كما هو الشأن عند أبي راس الناصري ومحمد بن علي السنوسي[2]، الذي تعتبر حركته التي انطلقت من مدرسة مازونة من أهم الحركات في بلاد المغرب و إفريقيا جنوب الصحراء.

يرى الجيلالي صاري أن مدرسة عاصمة البايلك الغربي ظلت تحتل مكانة هامة ووحيدة في الغرب الجزائري، إذ كانت موقعا ساميا للثقافة والعدل طيلة ثلاثة قرون من الزمن، و لعبت دورين أساسيين في المنطقة:

دور ديني: يتمثل في العبادة وفق المنهج السليم على مذهب الإمام مالك.

دور ثقافي: يتمثل في تعليم اللغة العربية، وتحفيظ القرآن، والقاء المحاضرات من طرف العلماء[3].

---

(1) سعيدوني، ناصر الدين. بوعبدلي، المهدي . **الجزائر في تاريخ العهد العثماني** ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1884، ص. 191.

(2) محمد بن علي بن السنوسي، ولد سنة (1202هـ/1706م)، بمنطقة الواسطة بمستغانم، توفي سنة(1286هـ/1791م)، درس بمازونة على يد أبي طالب، و أحمد بن هني..، أصبح له أتباع يسيرون وفق منهجه لتتطور بعد وفاته إلى طريقة الصوفية، نادت بالجهاد في صحاري الجزائرية وتشاد وليبيا. أنظر: بن عبد القادر بن علي، عبد المالك .**الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا**. ج1و2، ط1، مطبعة دار الجزائر العربية: دمشق،1966، ص21.

(1) Sari, Djilali .**Les Villes Par Coloniales De L'Algérie Occidental–Nédroma–Mazona–Kala**. Alger: SNED, Ager:1978,p 48.

لم تكتف مدرسة مازونة بجانب العلمي والثقافي، والذي ساهمت من خلاله في بعث الحركة العلمية بالمنطقة، التي كانت تتدثر بل تعدت ذلك وساهمت في الدفاع عن الوطن وإعلان الجهاد على الإسبان في المرسى الكبير بوهران، في إطار حملة منظمة قادها شيوخ وطلبة الزوايا والمدارس، فانطلق من مازونة الشيخ أبو طالب وابنه سيدي هني رفقة عشرين طالبا، فرابطوا أمام وهران وخاضوا معارك ضارية ضد الإسبان [1]، كلفتهم فقدان العديد من الطلبة والمشايخ، ولعل أبرزهم سيدي هني نجل الشيخ أبي طالب، الذي استشهد في قلب المعركة ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه بمازونة، وإرضاء شيوخ المدرسة وعرفنا بجميلهم جدد البايات بناء المدرسة أكثر من مرة[2].

ولعل أهم شخصية ميزت مازونة في العهد العثماني هي الشيخ محمد علي أبي طالب[3] الذي بغض النظر عن مكانته العلمية والدينية، وقيادته لجموع الطلبة في حربهم ضد الإسبان بقطعه الطريق من مازونة إلى وهران مشيا على الأقدام، وقد جاوز الثمانين من عمره دون كلل أو ملل، وقد حظي بمكانة في نفوس كل من تتلمذوا على يديه أو عايشوه.

وكان أبرزهم الفقيه عبد القادر بن المختار الخطابي المجاهري دفين مصر والمتوفى

---

(1) أبو القاسم، سعد الله . مرجع سابق. ص257.

(2) بلحميسي، مولاي .**دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن العشرين في العصر**. ع11، 01 أكتوبر،: الجزائر،1997،ص 08.

(3) هو شيخ المدرسة المعروف باسم الشارف المازوني، أسرته معروفة بالشرف، توفي سنة (1233هـ)، تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم على يد والده علي محمد بن عبد الرحمان، وذلك بمدرسة مازونة واعتباره وريثا للمدرسة، نصب مبكرا مدرسا بها وكانت له حلقة علمية متميزة حافلة بالطلبة، تخرج على يده علماء كثيرون لعل أشهرهم: أبو راس الناصري المعسكر..

سنة (1336هـ) الذي أشاد بعلمه وأخلاقه في تأليف أسماه:

« الكوكب الثاقب في أساتيد الشيخ أبي طالب»[1].

2. المدارس المحمدية بمعسكر:

أسست هذه المدرسة إلى جانب الجامع الأعظم، الذي انتهى من بناءه يوم (5 ذي القعدة 1195هـ/1782م) ويسمى مسجد « العين البيضاء »[2]، وكذلك عرف فيما بعد بمسجد . « المبايعة » ويسمى أيضا بمسجد « سيدي حسان »، وبنا المدرسة إلى جانب المسجد كان تماشيا مع تقاليد التعليم الإسلامي عموما، ويقول أحمد بن علال واصفا للمسجد والمدرسة:

عجبا له مسجد في الأرض قد *** حاكا السماء تطاولا في الفخر

وترى المدرس علا كرسيه *** يلقى على العلماء حب الجوهر

تحويه مدرسة غدت آثارها *** تحييه بالعلم الشريف الأشعري

وقال آخر:

ومساجد علمه عامران *** كليت العلوم تهدي شداها

---

[1] جنان الطاهر ،مرجع السابق،ص93

[2] حبيبة عليليش،**الكراغلة في المجتمع العثماني ق 10-13هـ/ق16-19م**،مذكرة ماستر ،قسم العلوم الانسانية،جامعة يحي فارس المدية ،2015/2014 ص49

والمدارس حولها راهرات *** كالإهالـــة في علو سماها

كذلك الحق الباي بمسجد و المدرسة مكتبة كبيرة، حيث كانت كل الكتب عبارة عن حبوس في خدمة الطلبة والأساتذة، حيث كان الباي يشتري الكتب بأثمان بالغة، كما خصص لها الأوقاف الكثيرة للإنفاق عليها.

كما كانت السيادة للعلوم الدينية، فإن محتوى المكتبات كان أغلبه لا يخرج عن هذه العلوم، فكثرتها كانت كتب التفسير والقراءات والأحاديث النبوية وشرحها، وكتب الفقه والأصول والوحيد ونحو ذلك وكذا العلوم اللغوية و العقلية الأخرى كان لها أيضا حظ في هذه المكتبات[1].

أساتذة المدرسة وطلبتها ودورهم في تحرير مدينة وهران:

اختار الباي محمد الكبير للإشراف على هذه المدرسة ثلاث شخصيات مرموقة وهم « محمد بن عبد الله الجيلالي » كمدير للمدرسة و« محمد المصطفى بن زرفة الدحاوي بن حوا».

أم محمد بن عبد الله الجيلالي فيصفه « ابن سحنون » فيقول: « الحر العلم والمقدام، الكثير التقدم في موطن الحروب و الهمام يراد به السيد الشجاع و البطن النجاع الجلالي نسبة لجده لأبي جلال، وهو شيخنا المعظم المفضل كاشف الغوامض بذهنه الذي هو اسني

[1] بوكعبر تقي الدين الشقراني،"**المدرسة المحمدية بمدينة معسكر وتحرير وهران من الاسبان عام 1791**"،اطلع عليه في مارس2017،متوفر علي:**http://gueltat.alafdal.net**،ص3_

من البرق والواصف المقدم في حلية العلوم ومباحث المنشور والمنظوم النقادة التحرير الشاهدة له دروسه بالتحقيق والتحرير، ذو الفضائل الوافرة والمحاسن التي لا تزل في الناس على كثرتها متضافرة ابن عبد الله السيد محمد الموفق بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن محمد المشهور بأبي جلال[1].

نشأ بين علم وأدب وأدب يلتمسه، ثم رحل إلى حضرة فاس وحل بهذه الساحة الطيبة الأنفاس، فلتقي بعلمائها الأكابر واستفاد منهم وشهدا له أكابرهم، توجه لأداء فريضة الحج ولما عاد إلى الوطن، دأب على عادته في نشر العلم فكان من جملة من تخرج على يديه العالم الأديب « محمد بن يخلف» و« أحمد بن سحنون».

أما الشيخ بن حوا فهو « محمد بن الطاهر بن عبد القادر بن محمد » المعروف بـ« ابن حوا » تولى القضاء في مدينة معسكر أيام محمد الكبير من أثاره: « نظم الجواهر أهل البصائر وفتح المبين في التوسل برب العالمين وزهر الآداب في جميع شعر أفاضل الكتاب».

أما الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمان الدحاوي الشهير بـ « ابن زرفة» من خواص كتاب الباي محمد، عالم و أديب وشاعر، كلف بتدوين أحداث فتح وهران، ثم عين قاض بها إلى أن مات سنة (1215م)، ومن آثاره: الرحلة القمرية والاكتفاء

[1] بوكعبر تقي الدين، المرجع السابق،ص5

في الحكم حوائز الأمراء و الخلفاء، ووصفه المشرفي فقال: « علامة الحاضرة والأبدية ومأوى وارد الجائية ووافد الغادية».

هذا عن المشرفين عن المدرسة، أما طلبتها فلم يدون لنا التاريخ أسمائهم أو أصولهم إلى أن وصل عددهم إلى حوالي أربعة مئة طالب، استنادا إلى بيان الأحباس، فقد خصص الباي أجور للمشرفين على المدرسة وللطلبة على النحو الآتي:

-ستين ريالا للمدرسين.

-أربعين ريالا للذي يحفظ الطلبة.

-خمسة عشر ريالا لوكيل خزانة الكتب.

-نصف ريال حق زيت الطلبة.

ومصدر هذا المال هو الحوانيت والكوشة (الفرن) والحمام التي شيدها أو بنها الباي ثم أجرها، وجعل ثمن إيجارها حبوس على المسجد والمدرسة[1].

تحولت المدرسة لمحمدية إلى منارة علم (كاد العلم ينفجر منها)، وبالإضافة إلى الدور التعليمي للمدرسة، فإن هذه الأخيرة لعبت دورا كبيرا في تحرير مدينة وهران، حيث أن مديرها رئيسا لرابط ايفرى والطاهر نائبه وابن زرفة مقيد حوادثها، وكان طلابها من المسيحيين للمرابطة حول وهران، فأثناء معركة الافوال استشهد الشيخ الطاهر بن حوا، وقد كلف الأمير قبل ذلك ستة من طلبة المدرسة وجهزهم لجمع الطلبة من بقية المناطق، فلم تمضي إلا أيام

[1] بوكعبر، تقي الدين. المرجع السابق ،ص5

قلائل حتى قدموا بنحو أربعة مئة طالب، كما أن الطلبة لما استقروا في الرباط اشتدت شوكتهم على النصارى، وعظمت فيهم مكانتهم وتكالبوا على قتالهم.

ويعد الطلبة وشيوخهم عنصرين متلازمين لا ينفصلان ولا يمكن للطلبة أن يضعوا أوامر تأتيهم من غير شيوخهم ولا تحركهم أو تغذي نشاطهم قدوة غيرهم، وربما هذا ما جعل أبو القاسم سعد الله يقول أن الباي « محمد الجيلالي » على رأس الرباط كي يتخلص من نفوذه.

تحولت المدرسة المحمدية التي كانت قاعدة العلم فيها هي حفظ القرآن الكريم أيام الفتح الوهراني، حيث خرج علمائها للجهاد فأقاموا عند جبل المائدة في قرب مدينة وهران، وكانوا هناك يدرسون ويحاربون إلى قلعة عسكرية وزاوية ومدرسة متنقل[1].

3. مدرسة خنق النطاح بوهران:

هذه المدرسة التي نشأة بخنقة النطاح وكانت بمثابة الرباط الذي كان يقيم فيه الطلبة للدراسة ومراقبة تحركات الإسبان العسكرية في مدينة وهران وأبراجها، تعتبر هذه المدرسة كقاعدة أمامية إسلامية لتمهيد فتح وهران، التي كانت الشغل الشاغل لكل الجزائر والخلافة العثمانية خاصة وأن الإسبان كانوا ينطلقون من مدينة وهران إلى داخل، مثل الحملات التي شنت منها إلى الجزائر ومستغانم وتلمسان (1543م)[2]، يقول يحي بوعزيز أن الباي محمد الكبير أسسها سنة (1207هـ/1793م) لكي تكون بمثابة ضريحا له ولأهله بعد وفاتهم.

---

[1] بوكعبر تقي الدين،المرجع السابق،ص7

[2] مهريس، مبروك .المرجع السابق. ص14.

وهناك من يعتقد أن هذه المدرسة، كانت موجودة قبل الباي محمد الكبير و تعطلت مهامها بسبب الاحتلال الاسباني للمدينة، ثم أعاد الباي محمد الكبير إحيائه.

رابعا. المكتبات

1. تعريفها:

يشتق لفظ المكتبة من كتب يكب كتابة، وهي مكان وجد الكتب وجمعها مكتبات وقد استخدم اليونان كلمة **ببليوتيكا (Biblotheke)** لدلالة على المكتبة، وهذا الكلمة تنقسم إلى شطرين، الأول هو كتاب (Biblio) و الثاني (Teke)، و يعني المكان الذي ينظم الكتب ويحفظه[1].

أما العرب فلم يستخدموا مصطلح المكتبة، إلا في القرن التاسع عشر فكانوا قبل الإسلام، لا يعرفون السجلات المكتوبة، إذ كانت الأمية سائدة في العصر الجاهلي فلم يكن

هناك حديث عن المكتبة، وبعد ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم لم يكن يطلق على كتب المساجد أي تسمية، واستخدم لفظ « دار خزانة » لدلالة على المكتبة، وبهذا أوجدت عدة مكتبات كـ « بيت الحكمة » في بغداد التي أسسها هارون الرشيد في العصر العباسي، وطورها ابنه الخليفة المأمون.

تطورت المكتبة وأصبحت مؤسسة لها دورها و أهميتها في المجتمع الإنساني كبقية المؤسسات الأخرى، فهي أداة هامة من الأدوات التعليمية التي ساعدت الطالب في تحصيل

[1] أنور أحمد، بدر .**مختارات في المعلومات المكتبات**. (ذ.ن)، القاهرة (د.ت)، ص81.

على مر العصور والأزمنة التاريخية للدولة الإسلامية، حيث تواجدت في أغلب المدارس والزوايا والمساجد خزائن الكتب والمخطوطات لتكون عونا للطالب على فهم الكم العلمي الذي يتلقاه خاصة وأن اقتناء الكتب كان يكلف مبالغ باهظة[1].

توجد « خزانة الكتب» داخل مسجد المدرسة وسط الأحياء الشعبية للمدينة العتيقة ويقع المسجد في منحدر الجهة الجنوبية من المدينة العتيقة التي بناها الروم.

لقد كانت مازونة من أهم مراكز الإشعاع الثقافي بعد تلمسان نظرا لأهمية مدرستها وكثرة الطلبة المتوافدون عليها من مختلف أرجاء القطر الجزائري منذ القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر ميلادي.

لمدرسة مازونة خزانة أو مكتبة رصيدها مكون أساسا من مجموعة مخطوطات، التي وضعت في غرفة خلف قاعة الصلاة مباشرة من جهة القبلة، ويفوق عمر هذه المخطوطات ثلاثة قرون، معظمها في مواضيع فقهية[2]، ومن أهم عناوين هذه المخطوطات:

– تحقيق الفقير السالك لترجيح الإمام مالك (للمؤلف بن محمد إسماعيل الأندلسي وهو مخطوط في الفقه).

-تحقيق المبادئ وتحرير المعاني على رسالة أبي زيد القيرواني (للمؤلف أبي الحسن علي المالكي والناسخ هو أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمان البراني).

---

(1) أنور أحمد، بدر. المرجع السابق. ص82.

(2) ميسوم، ميلود .**مدرسة مازونة « دراسة تاريخية فنية »**. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفنن الشعبية، جامعة ابي بكر بلقايد: تلمسان،2003/2002،ص101،100.

- كتاب الدرر في حل ألفاظ المختصر(للشيخ محمد بن إبراهيم بن خليل)
- مصحف القرآن الكريم (ناسخه محمد بن الحاج بن طالب).
- تفسير المصحف الشريف (ناسخه محمد بن الحاج بن طالب).
- حياة الحيوان (وهو مخطوط في الأدبيات لمؤلف مجهول).

وهناك عناوين أخرى في الفقه مثل: « كتاب الإيجاز » و « شرح الرسالة » لأبي زيد القيرواني، « وصحيح البخاري» وغيره، مما يدخل في إطار تخصص المدرسة لمختلفة بعلوم الدين و علوم اللغة[1].

عرفت الجزائر نهضة خلال العهد العثماني، نهضة علمية وأدبية جسدها الانتشار الواسع للكتب والمكتبات، وقد شهد على وفرتها الواقع العلمي والحضاري للشعب الجزائري.

ازدهرت المدارس وباقي المؤسسات العلمية والثقافية في الجزائر، خلال العهد العثماني وقطعت شوطا كبيرا في ميدان العلوم و الثقافة و الأدب، ولعل من عوامل الرقي هو امتلاكها لمكتبات غنية بمخطوطاتها متشعبة التخصص ومنها[2].

[1] ميسوم، مولود. المرجع السابق، ص.110-118.

[2] أنور أحمد، بدر.المرجع السابق. ص82.

2. نماذج مكتبات بالغرب الجزائري

مكتبة مدرسة مازونة:

اشتهرت طيلة العهد العثماني بكثرة مخطوطاتها وتخصصها في عدة علوم، أما عن مصدر الكتب التي زخرت بها مكتبة المدرسة، فإنها كانت من ثلاثة طرق رئيسية، أولها الشراء لاسيما كتب الأندلس ومصر، وثانيها عن طريق النسخ إذ غالبا ما كان في كل مكتبة ناسخ أو اثنين، وتشترط فيه أن يكون عالما بالنسخ والتجليد والترميم ، وثالثا عن طريق الهبات حيث اعتاد عدد من العلماء و الأدباء بل و البايات إهداء المكتبات مجموعة من الكتب.

كما كان الأمر عند الباي محمد بن عثمان الكبير، الذي أوقف على مدرسة مازونة مجموعة من الكتب ونسخة من صحيح مسلم سنة (1202هـ)[1].

مكتبات المساجد:

خزانة الجامع الأعظم التاريخية بتلمسان، كان علماء تلمسان وطلبتها منشغلين بجمع الكتب ودراستها، وكان ملوك بن زيان مهتمين بتعمير المكتبات لخدمة الطلبة.

مثل « لأبي حمو موسى الثاني فقد أسس خزانة وسع فيها على الطلبة و الراغبين في العلم، وهذه الخزانة امتدت آثارها إلى القرن التاسع ».

---

[1] ميسوم، ميلود .المرجع سابق. ص99.

ولقد كانت هذه المكتبة على يمين المحراب، بالمكان من الجدار القبلي ، وقت هدمت هذه المكتبة وفقد ما كان فيها من الكتب حوالي سنة (1266هـ/1850م)، وكانت هذه المكتبة تزخر بالكتب المختلفة في جميع العلوم و الفنون[1].

وبالقسم الأمامي من الجامع الكبير كانت هناك مكتبة أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني، وكانت بها قاعدة مخطوطات منها مخطوطان نفيسان: « كتاب الدرر ... فيشرف بن زيان للحافظ ...»، و ثاني « كتاب العجائب الأسفار لأبي راس الناصري».

تشجيع حركة النسخ والتأليف:

شاعت حركة النسخ في الجزائر قبل وأثناء العهد العثماني، فقد تميز الناسخون قبل مجيء العثمانيين بجودة الخط وحسن اختيار الورق، وإتقان صناعة الورقة والسرعة والمهارة، وكان الخط الشائع هو الخط الأندلسي المعروف بالخط المغربي، و بعد استقرار العثمانيي ن بالجزائر، أصبحت حركة النسخ تتم بخطين الأندلسي والعثماني[2].

وقد سهلت مهمة الناسخ نسبيا في العهد العثماني، إذ أصبح يقتني كتب صماء مجلدة من سوق الوراقين، وعادة ينسخ الناسخ لنفسه لإثراء مكتبته الخاصة، مثلما كان عليه الشيخ « محمد الزجاي» بتلمسان، وإما أن ينسخ لأستاذه أو لأمير مثلما فعل الناسخون للباي

---

[1] بن حامد، عبد القادر .**مكتبات المساجد في حواضر شمال الغر الجزائري و أثرها...** . مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد: تلمسان، 2008،ص 66.

[2] محمود المهدي، شعيب .**أم الحواضر في الماضي والحاضر**. قسنطينة: مطبعة البحث ،1980، ص211.

محمد الكبير، وبشأن حركة التأليف، كانت هي الأخرى حية و نشيطة في العهد العثماني[1].

وعليه يعد الباي محمد الكبير من أشهر البايات الذين شجعوا هذا العمل الثقافي الجاد، إذ أمر بنشر الكتب المطول، ونسخ المخطوطات النادرة النفيسة، وبعث التأليف في علوم شتى وتكريم القائمين بذلك من الطلبة الأكفاء وكتابه الخصوصيي ن وعلمائه النزهاء، إذ كان يجاز كل واحد منهم بسخاء، حسب عمله وجهده، وفي السياق كتب ابن سحنون الراشدي: « وكم من تأليف نشأ بأمره ونال مؤلفه به و.. » ثم كتب: « كان يشتري كتبه بالثمن البالغ ويكثر منها وينسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه »[2].

[1] بوعبدلي، المهدي .**أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي** . مجلة الأصالة، العدد08، السنة الثانية، جمادى الأول 1392هـ/ ماي،جوان 1972م، ص274،273.

[2] بوعبدلي، المهدي .**الرباط والغداء في وهران والقبائل الكبرى** . مجلة الأصالة، العدد 13، ربيع الأول 1393هـ/مارس 1973م، ص27.

الفصل الثاني:

المظاهر الثقافية ببايلك الغرب الجزائري

- الفنون الأدبية(الشعر)
- الفنون المعمارية
- أشهر الأعلام ببايلك الغرب

أولا. الفنون الأدبية (الشعر):

يصنف مؤرخو الأدب العصر العثماني، بعصر الضعف والذي يقيد من سقوط بغداد (1258م) إلى غاية بداية(1798م) بداية عصر النهضة العربية، وتميزت الثقافة و الأدب خلال هذه المرحلة بركود والجمود، بسبب اضطرابا ت الأحوال السياسية وتردي الواقع الاقتصادي والاجتماعي وعدم تقدير الناس للأدب والفنون بصفة عامة، وقد وصف أحدى الشعراء هذا الوضع بقوله:

أسفي على الشعراء إنهم على *** حال تثير شمـاتة الأعداء.

ولم تكن البيئة العثمانية في الجزائر تساعد على ولادة الأفكار وأقوال الشعر وفنون التعبير الأخرى، ويمكن رسم ملامح البيئة الثقافية في ما يلي:

- ركود فكري شبه شامل نتيجة إهمال الاجتهاد والتجديد.
- ضعف المؤسسات الدولة التي ترعى شؤون الثقافية وانحسارها في جانب العبادات والنوازل المرتبطة بها.
- حالة الفقر والعوز التي كانت مخيمة على السكان تصرفهم عن التذوق لشؤون الأدب والشعر فمعظم الناس كانوا يكدون طوال يومهم للحصول على لقمة العيش لهم ولعيالهم.

انصراف الحكام الضعفاء نحو الترف واللهو والمجون، فأكثروا حولهم الفتيات والمغنيات

أغدقوا لهن العطاء، فانحسرت أعمال الخير والبناء والتشييد التي تلهم الشعراء والأدباء[1].

وبرغم من ذلك الفقر نبع من ذلك العصر مجموعة من الشعراء الفحول الذين أثروا خزانة الأدب بمختلف الأشعار [2]، ويقول المؤرخ أبي القاسم سعد الله في هذا الصدد: «أن الشعر في العهد العثماني ما يزال مهملا لم يتم جمعه وتحقيقه ودراسته بالرغم من وجود عدد كبير من الشعراء الفحول ».

ومادمنا نتحدث عن الناحية الغربية من الجزائر، فقد ضم بالمنطقة العديد من الشعراء في مختلف المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية، نذكر منهم أحد شعراء مدينة مستغانم، فقد نضم قصيدة هائية في المديح النبوي، تعرف أحيانا (بهائية المستغانمي) والقصيدة طويلة، تبدأ بالغزل وتنتهي بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الأبيات الغزلية وحدها عشرون بيتا وهي مقسمة إلى عناوين مثل (باب التغزل وحسن التنزل) و(باب رجوع وانصراف وإقرار واعتراف) و(باب التعداد وحسن الإمداد) ...الخ، وهي تبدأ هكذا:

هام الجوي يهوى ليلى فحياها *** قلب تغاضي من الأشواق أعلامها.

ناداه سر هواها من كوي شغف *** وعند طـور نداها اللّـب لباها.

---

[1] أوجرتني، محمد .**واقع الشعر السياسي وقضاياه في عهد حكم التركي** . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: قسنطينة، ص5.

[2] أوجرتني، محمد .المرجع نفسه. ص5.

ويختمه الشاعر بهذه الأبيات التي فيها ذكر مستغانم والدعاء لها بالحفظ والرعاية:

قصيدة ألها بها الوصل مردفة *** ليس الخلق ذكر العبد أهداها.

لطيفة النسج من لطف الإله بدت *** بمستغانم من حلت بعقواها.

فالله يرزقها أمنا ويحفظها حفظا *** ويكلؤها دأبا ويرعاها[1].

أما الشعر السياسي كما يذكر أبو القاسم، سعد الله ، فلم يرتبط بالجزائر خلال العهد العثماني، إلا في المناسبات محدودة، نستطيع حصرها في الجهاد ضد الأجانب وخصوصا الإسبان، ومدح الأمراء طمعا في مالهم، والموقف من الأتراك مدحا وذما.

وللحديث عن الغرب الجزائري فإن حدث فتح وهران الثاني على يد الباي محمد الكبير سنة (1205م، أطلق أقلام الشعراء فقد كان هذا الباي متنورا إلى حد كبير، فجمع حوله نخبة من الأدباء والكتاب ينسخون له الكتب ويسجلون أحداثه اليومية، يدرسون وينوهون بأعماله، قد أغدق عليهم المال والرعاية فنشطت الحركة الأدبية على عهده ولاسيما الشعر، وجاءه الشعراء من البليدة والجزائر والمغرب وغيرها.

وأول شعرائه هو أحمد بن سحنون الذي كان أحد كتابه، فقد قال فيه وفي ولده عثمان أكثر من قصيدة، وفي حضي الباي بقصائد ابن سحنون حتى قبل فتح وهران وفيه يقول:

حنانيك ماذا الصد ماذا التجانب *** وقلبي من شوقي لوجهك ذائب.

[1] أبو القاسم، سعد الله .المرجع السابق. ص249.

وإذا كان ذنبي في هواك محبتي *** فما من ذنبي مدى الدهر تائب.

وابن سحنون مولع بالغزل في مطالع قصائده فقد مدح عثمان بن محمد الكبير (كان صديقا له) بقصيدة أيضا بدأها بهذا الطالع:

ألم المحبة للحشاشة موجع *** والصبر للصب المروع مرجع.

لولا التصبر والتصبير في الهوى *** لرأيت سلوى في الأسى يتروع[1].

وقال الراشيدي يمدح الباي محمد الكبير بعد فتح وهران الثاني:

أسد صال صولت فأبادت *** من بني الفر جانبا وجناحها.

وأراع قلوبهم فتلاشى *** صبرها وأبان منها الزحا[2].

جاء من بعدهم فحار عليهم *** أول الذكر والعلا والسماحا.

وكان ابن سحنون يتبع آثار الباي ويمدحها بقصائده الجميلة، فقد مدح دار سكني الباي، ووصف الجامع الكبير الذي بناه في معسكر والمدرسة التابعة له [3]، بل أنه مدح ومازح أصهار الباي ورثي قضاته، وبعبارة أخرى كان ابن سحنون هو متنبي الباي محمد الكبير، إذا درس شعره وفورنت آثاره الأدبية الأخرى كـ(الأزهار الشقيقة وعقود المحاسن)

---

[1] أبو القاسم، سعد الله .**المرجع سابق**. ص259.

[2]الراشدي، ابن سحنون. **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي** ،ط1،الجزائر ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،2013،ص313.

[3] المتصرف على القصائد، أنظر: المرجع السابق ، ص192.

ظهرا ابن سحنون في طليعة أدباء عصره وأكثرهم تمكنا في القصيدة التقليدة بعد ابن علي وابن الشاهد[1]، ولسوء الحظ أن حياته وآثاره ما تزال مجهولة[2].

ومن شعراء الباي أبو راس وأحمد القرومي ومحمد بن الطيب المازري [3] وغيرهم، إذا نحن قسنا بحجم القصائد فإن أبا راس يأتي عقب ابن سحنون لكن شعر أبي راس كان شعرا تاريخيا وفقهيا، ذلك أن غلبة علوم الفقه والتاريخ عليه، جعلت شاعريته تستسلم أما تحدي الحفظ والذاكرة، بالإضافة إلى أن إلى أن الشعر أبي الراس مكسور ومختل في أغلبه، وقد قال في فتح وهران على يد الباي مجمد الكبير سينية طويلة شرحها فيها بعد يطلب من الباي فأصبحت هي والشرح جزاء من تاريخ الحادثة، على أن أبا راس قال انه اختار قافية السين لأنها محبوبة لدى الأدباء و الأمراء، وقد كان الباي هو لي نعمة أبي الراس كذلك مدحه في عدة مناسبات وهنأه بالنصر:

فنم هنيء وبك النصر مقترن *** بقصر وهران دار لك محلالا.

وفي إحدى قصائده حاول أبو الراس رغم ركاكة قصائده، أن بين فتح وهران وطباع الأندلس

---

[1] محمد بن الشاهد الجزائري، شاعر من فقهاء المالكية عن أجمل مدينة الجزائر، ولد وأنشأه وأصله من الأندلس وينضم ويلحنها لاسيما في ذكرى المولد النبوي الشريف. أنظر:عادل نويهض، عادل .**معجم أعلام الجزائر من صدور الإسلام حتى عصرنا الحاضر**. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف الترجمة والنشر، 1980، ص186.

[2] أبو القاسم، سعد الله .المرجع السابق. ص259.

المرجع نفسه. ص260

ذكر أن هذا الفتح قد اهتزت له أراضي الإسلام من مصر إلى الحجاز والشام، وأبو راس يعتبر هذه القصيدة من بديع ما قلته في فتح وهران ومطلعها:

خليلي قد طاب الشـــارب المورد *** لما أن صار الأمير في الثغر يقصد.

وهو يقصد بالثغر مرسي وهران، أن الباي لم يعد يقصده الناس في معسكر التي كانت العاصمة قبل الفتح، له في مدح الباي الكبير أكثر من عشرة قصائد أخرى[1].

فيقول أيضا:

بشرى لنا بلغنا غاية إلا رب *** بفتح وهران ذات العجب والعجيب[2].

وقد وفد على الباي أحمد بن محمد بن علال القرومي في مدينة معسكر وسجل رحلته في قصيدة، تدل على أن الشعر لو وجد مناخا آخر طيبا لنما :

لما التقيت بوافد الحسن البهي *** يزجي المطايا مغربا في عسكر.

خاطبته أين المسير فإنني *** أبصرت ما أدهش وأدهش منظري.

وقد خاطب بهذه القصيدة الباي ومنحه على أعماله ثم تخلص إلى وصف الجامع الذي شيده في معسكر:

وترى المدرس قد على كرسيه *** يلقى على العلماء حب الجوهر.

---

[1] أبو القاسم، سعد الله .المرجع السابق. ص260.

[2] أوجرتني، محمد .المرجع نفسه. ص6.

تحويه مدرسة قد غدت أثارها *** تحييه بالعلم الشريف الأشعري.

تمحي رسوم الجهل من ألواحه *** تحمي شمائله من الزور السري.

واثر غزوة الاغواط مدح القرومي الباي أيضا وهنأه بالنصر بقصيدة تبدأ:

لقد أنجز الآمال وعدا من النصر *** كما أبرز الإقبال ما كان في الصدر.

وأهدت وفود الفتح عذراء بلدة *** مثقلة الأرداف في الحلل الخضر[1].

ويذكر ابن هطال [2] أن الباي محمد الكبير كان مولعا بالشعر ومكرما للشعراء مبالغا في إحسانهم فقد منح القرومي، مائة محبوب[3]ذهبي وكسوة بـ خمسين محبوبا[4].

أما محمد بن الطيب المازري البليدي فقد قدم في منح الباي قصيدة ويقول فيها:

أهل الهلال ألم في طالع السعد *** تكامل البدر في سما الفضل والمجد

أزيحت غياهب الظلم مذبدا *** كما انضحت كناية سبل الرشد.

فكم معلقا أحياه بعد اندراسه *** ونضم شمل الدين في ايما عقد.

غزا أرض وهران بجيش عرمر *** فضاق الفضاء عن ذلك الجند.

---

[1] أبو القاسم، سعد الله .المرجع سابق. ص261.

[2] صاحب كتاب رحلة الباي محمد الكبير و مبعوثه الخاص في الخارج، استشهد في معركة فرطاسة الشهيرة التي دارت بين الدرقاويين وقوات البايلك سنة 1219م.

[3] هو عملة محلية استخدمت في العهد العثماني، شك من الذهب الخالص.

[4] أوجرتني، محمد .المصدر نفسه. ص6

رمي بصواعق تجاه حصونهم *** فأورثهم نهاية الذل والطرد.

وفي جنده من الرجال أفاضل *** سموا السماء الفضل من دون ماجحد.

ولاشك أن الله فتحها على *** يديه وان النصر يلأتي على القصد.

هو الليث لا ينفك يوم كريهة *** يكر على الاعداد بالصارم الهند.

يمين اذ ماسله لايرده *** من قبل خضاب الدماء إلى عقد.

يقاوم جيشا وهو فرد فكيف ان *** أتى مع عسكر له خافق البند.

كهيفاء يكر لم يفض ختامها *** تدير كؤوس الانس في محقل الود.

نغنيك طورا ثم نسقيك طرفا *** على ضمأ قد ينسب من ريقتها الشهد.

وناضمها محمد نجل طـيب *** يـــــروم فيولا منك باغية القصد [1].

ويقول أيضا محمد المازري التلمساني:

بدأت بحمد الله غفي معرض الثناء *** وفي الافتخار بهجة وثناء.

وبعد فإن القصد في النظم شائقا *** إلى منح من ربي به البصراء.

ومن خصه الرحمان بالمجد العالي *** وحاز المعالي والفخار السناء.

[1] الراشدي، ابن سحنون .المرجع السابق، الص41.

دعاف جابته نالمعالي مطيه *** وقد كان منها منعة واباء[1].

وقد حدثنا ابن سحنون أنه كان يمازح الأمير عثمان ابن الباي محمد الكبير قبل توليه الحكم من ذلك أنه قال فيه قصيدة (أثناء مزاح أدبي منزع عربي) وهي:

عسى الليث عثمان يعذرنه *** ويجري على خطة الكرم.

وقد استعمل ابن سحنون نفس العبارات السابقة مع صهر الباي أيضا محمد إبراهيم الذي صديقا له فقال فيه مرة عند غيابه فيه قصيدة طويلة[2]:

فلولا جمالك يا زينب *** لما إنجاب من افقنا غيهب.

ودار بين الأتراك والدرقاويين في بايلك الغرب حروب كبيرة، امتدت حتى بايلك الوسط وشرق الجزائر، وفي هذا الصدد دار حوار بين العلماء أولي الألباب على شكل سؤال وجواب ونصه[3] :

أيا أهل تطوان فما الحكم عندكم *** في أصحاب درقاوا إلى الجهل ينسب.

بنص يزيل المشكلات بأسرها *** ايتبع مطلقا أمر الترك أصوب.

ومن أين ذاك الأخذ بالسند الجلب *** كما قرروا للشاذ لي الجاه يحسب.

---

[1] -المرجع نفسه،ص171.

[2] أبو القاسم، سعد الله .المرجع السابق. ص270.

[3] المزاري، آغابن عودة .طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا،تحقيق ودراسة يحي بوعزيز،ج 1 ،الجزائر: دار الغرب الاسلامي،1990، ص303.

إن ذا المحدثات شاع في الناس حكمها *** ياذا الأمن بالأوطان بلدنا مغرب.

وإذا أنصبوا للإقتداء فهل لنا *** ثواب صلاتنا أم الأمر أصعب.

وهل غيبة تجري وينصف عادل *** جوابكم بنفي من الحوض نشرب.

جوابه:

عليك سلام الله يا سائلي فخذ *** نقولا من المعيار بالسوط يضرب.

وابن هلال شد وجدا محرارا *** ومن يتبع ذا الأمر إبليس يصحب.

ومن يعتقد الشطح والرقص باليد *** عبادة ربه فزنديقا يحسب.

وقد خالفوا سبل الرسول محمد *** ومن خالف سن النبي يعذّب.

إما متهم من الشهادة باطلة *** لبدعتهم حقا وصدق مركب.

فلا غيبة تجري سيحة طبقوا *** في مثلهم الأخيار للعلو ينسب.

فهذا المشهور عند جميعهم *** فجنب طريق اللهو للحق تقترب.

وأيقن بأن الله أنزل حكمه *** في تنزيله القرآن شرفا مهذب[1].

ومن أشهر المعارك التي وقعت بين الطرفين معركة ((فرطاسة)) الشهيرة التي دار رحاها سنة (1219م) وقد ذكرها حسن توجة التركي صاحب كتاب دّر الأعيان، وأوردوا

[1] المزاري آغاين عودة . المصدر سابق. ص303.

أشعار صور من خلالها العمليات القتالية وبطولات القادة وهزيمة الأتراك رغم العدد والعدة[1] منها:

فرطاسة يومها ترى الجنود به *** مابين قتلى وأسرى غير ناجينا.

فالباي جاء بحيث لا نفاذله *** به يريد لقاء العدو باغتنا.

فلم يحقق له سعى ولا أمل *** بل جاء جنده صفر الكف باكينا.

فاليوم لابن الشريف عز فيه علي *** باي الأعاجم لولا الدين لا دينا.

وقال السيد مسلم الحميري:

يوم فرطاسة يوم كبير *** ذّل فيه العزيز عزّ الحقير.

لقد هيا مصطفى حيث كبير *** تركا ومخزنا الملك جدير.

فلم تك ساعة إلا وانهزموا *** من جيش قليل هيأه الفقير[2].

---

[1] أرجنتي، محمد .المصدر نفسه. ص22.

[2] المزاري، آغابن عودة .المصدر سابق. ص305،304.

ثانيا. الفنون المعمارية:

1.العمارة الدينية:

أ – مسجد الباي محمد بمعسكر (المعروف بمسجد عين البيضاء):

بني المسجد الجامع الباي محدد الكبير بمعسكر يوم 05 ذو القعدة 1195هـ، ويسمى بمسجد عين البيضاء كما يسمى عين البيضاء كما سمي أيضا بمسجد المبايعة، ومن الشواهد التي تدعم تاريخ بناء هذا المسجد تلك اللوحة المنقوشة على الرخام الموجودة داخل بيت الصلاة على يمين الباب الرئيسي في لوحة طولها أربعة و ستين سنتمترا، وعرضها خمسين سنتمترا ونصف.

محيط المسجد مئة وسبعين مترا، يتضمن بيت الصلاة والمدرسة والساحة. وبيت صلاة لهذا المسجد طول ضلعه 16.84 مترا محيطه 67.36 مترا وهو متربع على مساحة من الداخل 283.50 مترا ومساحته من الخارج 351 مترا، وهو يتربع على السحن بستة أدراج، وسمك جدران بيت الصلاة به يتراوح ما بين 1.13– 1.16 مترا وهي مبنية بالحجارة والطين و الآجر الأحمر المشوي[1].

ولبيت الصلات هذا بابان:

الأول: وهو الرئيسي يتوسط الجدار الجنوبي ويؤدي إلى بيت الصلاة إلى الصحن عرضه

[1] مهيريس، مبروك .المرجع سابق. ص50.

1.50 مترا ونصف وارتفاعه 2.50 مترا ونصف.

الثاني: يوجد الجدران الجنوبي أيضا ويقابل البلاطة الأولى و يؤدي من بيت الصلاة إلى المئذنة، عرضه 74 سنتمتر وارتفاعه 1.70 مترا.

كما يحتوي هذا المسجد (الباي محمد الكبير) على الصحن الذي هو عبارة عن مساحة واسعة نصفها حديثة وهو جنوب بيت الصلاة، أما بقية الصحن فهي بطحاء مبلطة كبيرة، وهو القسم الموالي لبيت الصلاة وفي أقصى الجهة الجنوبية الغربية من الصحن يوجد بيت الوضوء.

طوله 44 سنتمترا وعرضه 14 مترا، من قبة مركزية تحيطها الأروضة من جهاتها الأربعة، مغطاة بأقبية متقاطعة بأربعة قباب صغيرة متقابلة مثنى مثنى[1]

ب – **جامع باشا:**

والذي أسسه الباشا حسان داي الجزائر، لأنه أمر ببنائه وتحمل نفقات البناء(1792م)[2]، وهو مسجد جامع ثبته اللوحة الموجودة في متحف وهران.

مسجد باشا هو المسجد الوحيد من المساجد العثمانية، الذي سلموا من أيدي الاستعمار الفرنسي التخريبية، أو التحويل إلى كنيسة ولو يلحق به ما لحق بالمساجد الأخرى.

---

[1] مهيريس، مبروك .**المرجع سابق**. ص73–90.

[2] بن هطال،أحمد .**رحلة محمد الكبير**. ص28.

وعلى الرغم من التعديلات والترميمات التي تعرض لها المبني منذ إنشائه إلا أنه حافظ على طابعه الأصيل[1].

يقيد المسجد من الشرق إلى الغرب، تبرز فيه العيان واجهتان، الواجهة الغربية المشكلة من مستويين(طبقتين) نظرا للانحدار الذي الموقع كلما اتجهنا إلى الغرب، خصص الطابق الأرضي كميضأة، بينما يبرز في الطابق الثاني النوافذ الخلفية لبيت الصلاة، أما الواجهة الشرقية، فهي عبارة صور نصف دائري طوله 55 مترا، ويزيد ارتفاعه كلما تواجهنا نحو الغرب وينتهي في أعلاه طنف بارز تنتظم عليه شرفات مسننة تتخللها قبيبات ثهائية الأضلع ذات وظيفة زخرفية[2].

بيت الصلاة: ندخل إلى بيت الصلاة من الصحن عبر مدخل متقدم بنحو خمسين سنتمترا عن الحائط يواجه فيه المدخل الرئيسي، مزدان بدعامتين مزخرفتين، تعتمد على قاعتين عاليتين.

أما بيت الصلاة فيتخذ شكلا مربعا تقريبا، طول ضلعه الشرقي 28.05 مترا والغربي 28.57 والشمالي 27.70 والجنوبي 27.60 مترا، وتقدر مساحته 781.35مترا مربعا، وهو يتكون من سبع بلاطات عمودية على القبلة وسيعا موازية له، تقوم في وسط بيت الصلاة القبة المركزية ثمانية أضلاع، طول أضلاعها يتراوح مابين 3.44–3.82 مترا، ترتكز في آن

---

(1) ميهريس، مبروك .المرجع سابق. ص38.

(2) حملاوي. **المنشأة المعمارية للباي محمد الكبير بمدينة وهران (1779–1799م).** دراسة معمارية، رسالة ماجستير في آثار الأساسية: جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2008–2009، ص20.

واحد على ثمان دعامات وثمانيات أعمد مزدوجة، تشكل في مجموعها مضلعا ثمانيا ويحيط بهذه القبة المركزية، أثني عشر فيه أصغرا حجما، ونجدا أسفل القبة لجامع الباشا الدكة، حيث يقوم المؤذن بإقامة الصلاة، والمقرئ بترتيلات القرآن الكريم، وهي مبنية بالجنب ذات درابزين مزخرفة، محمولة على أربعة أعمدة رخامية[1].

الصحون: يحتوي على صحن مكشوف بأخذ بشكل نصف قرص، قطر دائرية 22.55 مترا تقدر مساحته به 997.4 مترا مربعا، يوجد على جانبيه الشمالي، الشرقي الجنوبي، الغربي روقان اثنان يشكلان إضافة المدخل نصف دائرة عمقها 3.67 مترا، وارتفاعهما 3.40 مترا أما تسقيفها فهو حديث[2].

يتكون الرواق الأيمن من سبعة أعمدة منكشرة متجاوزة تحملها ثمانية أعمدة نفس الأمر، يتكرر بالنسبة للرواق الأيسر، إلا أن عقده الأخير مصمت به باب لغرفة متحدثة تحوي بئرا داخلها، يوجد الصحن حوض ثقافي الأضلاع تتوسط نافورة.

يعلوها جوسق متصل من أحدى جوانبه بقاعدة فيه حجرة المدخل المجهول على عقود مشرشفة، من جهاته الثلاثة المقابلة، تعلوا هذه الجوسق قبيبة ذات ثمانية أضلاع[3].

المآذن: تعتبر المئذنة أهم عناصر المسجد، إضافة إلى بيت الصلاة والصحن دورها

---

(1) حملاوي.المرجع السابق. ص34-36.

(2) حملاوي.المرجع السابق.ص29.

(3) حملاوي.المرجع السابق.ص30.

الأساسي في النداء إلى الصلاة، قد أعطت للمسجد طابعا جد مميز[1].

وتعد المئذنة الجزء الأكبر مقاومة في المساجد والأكثر اهتماما من طرف المعمار المسلم حيث اندثرت بينما ضلة مآذن ثمانية القاعدة ومآذن ذات قواعد مربعة، مسجد الباي محمد الكبير بمعسكر ومسجد الباشا بوهران لها مآذن ذات الثمانية الشكل[2].

مآذنه جامع الباشا:

تقع في الركن الجنوبي الشرقي للجامع بعيدة، بأمتار عن بيت الصلاة ذات مسقط ة أفقي مثمن الشكل طول الشكل ضلع قاعدتها 1.40 مترا، ويبلغ ارتفاعها 34 مترا[3]. ويتروح سمك الحائط بها مابين 50 سنتمترا و 86 سنتمترا « ونفذ بناء هذه المئذنة وفق طراز معماري جديد غيرها مألوف في المعمارية الجزائرية الإسلامية من قبل ابتكار عثماني في العمارة الجزائرية »[4]، و بها باب اتساعه واحد متر وارتفاعه 2.03 مترا، يلتف حولها درج صاعد على هيئة دعامة شبه مربعة مساحتها 1.80 متر وعدد أدراجه 147 درج، عرضه كل منها 80 سنتمترا، كل دورة انعطاف تشتمل على ستة درجات [5].

---

(1) الزاي حسن ، أحمد .**في الفنون الإسلامية**. دار الرائد العربي: بيروت، 1981، ص143.

(2) عزوق عبد العزيز، محمد الصالح . **تطورات نضام المآذن في المغرب الأوسط** . رسالة ماجيستر: جامعة الإسكندرية،1191،ص 134.

(3) الزاي حسن ، أحمد.المرجع نفسه. ص149.

(4) مبروك، مهيريس.المرجع نفسه.ص 182،183.

(5) حملاوي.المرجع نفسه. ص66.

مئذنة مسجد الباي محمد الكبير بمعسكر:

تقع المئذنة بالزاوية الشرقية الجنوبية من بيت الصلاة، يبلغ طول ضلعها 20.40 مترا وتنقسم إلى ثلاثة أقسام.

-السفلي: 4.10 مترا، ارتفاعها 3.50 مترا، وخالية من زخرفة

-الوسطى: يبلغ ارتفاعه 10.50 مترا طول ضلعه 1.60 مترا، ليست مزخرفة.

-العلوية: يبلغ ارتفاعه 3.50 مترا، طول ضلعه واحد متر، أما من الداخل فنواة مستديرة قطرها 1.50 متر، محاطة بممر المئذنة المؤدية إلى أعلاها، عدد أدراجها.

العناصر الزخرفية:

1. **الزخرفة الهندسية:**

أهم الزخارف التي توجد بمسجد الباشا بوهران، الأقواس المفصصة، ويوجد هذا النوع بمئذنة مسجد باشا، ومن الأشكال الهندسية الموجودة بالمساجد الأهلة والدوائر في الزليج الملبس به رواق الصحن.

أما مسجد الباي محمد الكبير بمعسكر، توجد أشكال الأهلة والنجوم فوق بابه الرئيسي لبيت الصلاة[1].

[1] مبروك، مهيريس.**المرجع نفسه**.ص233.

2.الزخرفة النباتية:

توجد بمسجد الباشا بوهران بعض الزخارف النباتية، والتي تتلخص في لأوراق وأغصان النباتات في كل من القبة الرئيسية و القبة المجاورة لها.

أما مسجد الباي محمد الكبير بمعسكر من أهم الزخارف النباتية نذكر الموجودة بمحراب المسجد، وهي منقوشة في الجص، تتميز بكثرتها وتشابكها وتشابكها واختلاف أنواعها وهي تكسو كل محراب والقبة الأمامية للمحراب[1].

3.الزخرفة الكتابية:

استخدمت أربع أنواع من الخطوط الزخرفية الكتابية بالمساجد و هي الخط الكوفي، و الخط الريحاني، الخط الرقعي، الخط الشتلي.

- الخط الكوفي استعمل في زخرفة مسجد الباي في القبة الرئيسية.
- الخط الريحاني استعمل في زخرفة مسجد الباشا في قبة الفوارة، واستعمل في مسجد الباي محمد الكبير بمعسكر في المحراب داخله وخارجه.
- الخط الرقعي استخدم في زخرفة بيت الصلاة الرئيسي لمسجد الباشا.
- الخط الشتلي استخدم هذا الخط في اللوحة التذكارية بمسجد الباي محمد الكبير بمعسكر على يمين الباب الرئيسي لبيت الصلاة[2].

---

[1] مبروك، مهيريس.المرجع السابق.ص244.

[2] مبروك، مهيريس.المرجع نفسه.ص225.

مواد البناء منها:

-الآجر:

يعتبر من أهم المواد التي استخدمت في بناء وزخرفة العمائر الجزائرية خلال الفترة العثمانية كما كان الشأن في العمائر الإسلامية في مختلف عصورها لاسيما في إلي بلاد التي يقل فيها الحجر و يبدوا أن بلاد المغرب ورثت تقاليد البناء بهذه المادة من الأندلس التي استخدمته بصورة واسعة منذ فترة مبكرة في البناء أولا ثم الزخرفة من بعد ذلك، خلال القرن الرابع هجري(10م)[1].

والآجر عبارة عن طين محروق، يتميز بصلابة[2] و بشدة المقاومة، له قدرة عالية على تحمل الضغط، خفيف الوزن مما يسهل على البناء التحكم بكل حرية في تشكيله.

والآجر مستخدما في الحوائط والقباب والحنايا والأقبية والعقود والدعامات والشروفات و المداخل و النوافذ ز المآذن، و استخدم أيضا في تبليط الأرضية.

-الحجر:

يعتبر أحدى المواد الأساسية التي كثر استخدامها في بلاد المغرب والأندلس، لاسيما في فترة المرابطية، والموحدية، والمرينية، والزيانية، ثم بعد ذلك في الفترة العثمانية.

---

[1] العرج، عبد العزيز .**المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية.** دكتورة دولة: جامعة الجزائر، 1999، ص640.

[2] من الخصوصية الرئيسية لهذه المادة، والتي جعلت استعمالها واسعا وهذه الخصوصية تكتسب عقب الحرق بعدما كان طين مرن.

زمن أنواع الحجر الدبش [1] الذي يختلف استعماله، فإذا كان صلب فيستعمل للبناء، وإذا كان شبه صلب استعمل لتعلية الحوائط، وإذا كان أقل صلابة استعمل في الأجزاء العليا للبناء.

ومن أنواع الحجر الأخرى التي استخدمت بكثرة في العمائر الجزائرية خلال العهد العثماني الحجر الكلسي الذي يعد من الصخور الرسوبية[2].

-الرخام:

يعتبر من أصلب أنواع الحجارة، استخدم في درجات السلالم و تبليط الأرضيات وصنعت منه الأعمدة والتيجان، إطارات الأبواب والمنابر والكراسي في جامع الباشا استعمل منه أيضا إطار مدخل بيت الصلاة وبعض الأعمدة بداخله.

-الجير:

يعتبر مادة أساسية كثيرة الاستعمال يحصل عليه بحرق الحجارة الكلسية، يستخدم في طلاء الجدران[3].

-الخشب:

استخدم كثيرا في مختلف العصور ولاسيما في عمل السقوف والأبواب، النوافذ المنابر والدك و الدرابزين.

---

[1] عبارة عن مادة كلسية ذات صلابة معتبرة لها لون أبيض في العادة.

[2] زرق، محمد عاصم .المرجع سابق. ص73.

[3] حملاوي.المرجع سابق. ص150.

وقد أدى الخشب دورا مهما في العمائر الجزائر الدينية والمدنية على حد سواء خلال العهد العثماني، فبالإضافة إلى استعماله في بناء السقوف وتدعيم المباني، استعمل أيضا في محال الزخرفة[1].

-المعادن:

تستعمل عادة كمادة مكملة للبناء منها الحديد الذي شكلت منه شبابيك النوافذ والفتحات، كما دعمت به بعض الأعمدة والجدران قصد تمتينها و إعطائها مقاومة أكبر بالإضافة إلى استخدامات أخرى كتدعيم الأبواب في ربط مصاريعها وفي وضع المسامير[2].

أما النحاس فكان قليل الاستعمال في المساجد، فلا يوجد سوى بمقابض الابواب وثريات مسجد الباشا بوهران[3].

---

[1] حملاوي.المرجع سابق. ص160.

[2] حملاوي.المرجع سابق. ص161.

[3] مبروك، مهيريس.المرجع نفسه.ص216.

2. العمارة المدنية:

أ -الحمامات:

الحمام المغتسل المعروف، ويقال له « الديماس» أيضا مذكر وقد يؤنث، مشتق من الحميم وهو الماء الحار، جمعه حمامات[1].

لقد عرف بناء الحمامات العامة لغرض الاستحمام، انتشارا كبيرا قديما وحديثا، وكان يعتبر من أهم المرافق العمومية ذات الخدمات الاجتماعية المشتركة لكونها مؤسسات ضرورية تؤدي وظيفة صحية، كما كانت تؤدي في نفس الوقت وظيفة دينية وأخرى ترفيهية.

فكان الحمام في العهد الروماني يمثل مظهرا من مظاهر الحضارة و الترف من خلال وحداته المختلفة التي اختصت كل واحدة منها بنشاط معين، سواء رياضي أو ثقافي أو سياسي أو علمي[2].

وبمرور الوقت اتخذت الحمامات مظهر إسلاميا، وكثرا إنشائها في المدن الإسلامية بحاجة مرتبطة بدعوة الإسلام إلى النظافة والتطهير، ولعدم قدرة عامة الناس على بناء حمام داخل منازلهم، كما استخدمت أيضا بقصد تحقيق الربح.

أما فيما يخص أصل الحمام الإسلامي فمنهم من يرى أن تكوينه مستوحى من الحمام اليوناني القديم، بينما يرى أخر أنه مشتق من الحمامات الرومانية أو البيزنطي ة، ومهما يكن من أمر الحمامات الإسلامية حتى وان كانت استوحت تقسيماتها المعماري من الحمامات

---

[1] ابن منظور،محمد مكرم بن علي. المرجع سابق. ص524.

[2] الفيروز، آجادي .**قاموس المحيط**. ط6، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة: بيروت، ص 2319.

السابقة، إلا أن هذا لا يمنع من القول أن التركيب المعماري للحمام الإسلامي جاء وفق ما تقتضيه الشريعة وخدم الدين الإسلامي الحنيف[1].

وابتدءا من القرن التاسع عشر هجري (الخامس عشر ميلادي) أبح الحمام العثماني النموذج المحتذى، حاملا معه ذلك النموذج البيزنط ي القائم على القاعات المذكورة سابقا، وهذا ما نلاحظه على الحمام الذي بصدد التطرق لدراسته وللإشارة فإن هذا الحمام هو الوحيد الذي أبقى محافظ على هيكله المعماري رغم التغيرات التي لحقت به أثناء الاحتلال الفرنسي[2].

أ. حمام المور:

يطلق على هذا الحمام اسم « حمام المور»[3] **(أنظر الملحق رقم(05))**، إلا أننا نعرف على وجه التحديد الشخص الذي بناه ولا تاريخ بنائه، ورجحنا أنه يعود إلى الفترة العثمانية استنادا إلى الوصف « هاينرش فون مالستان » لمستغانم أثناء زيارته لها أيام الاحتلال الفرنسي للمدينة بقوله: « ... ومن الصعب أيام إقامتي بمستغانم الدخول إلى الحمام الغربي الجميل الذي تزينه البواكي وتحيط به الأقواس لأن جنود التركوس كانوا يشغلونه باستمرار تقريبا ويفعلون به ما يطيب لهم ... »[4].

---

(1) المعلم بطرس الشباني .**محيط المحيط**.ط3، بيروت: مكتبة ناشرون، 1998، ص533.

(2) عثمان، عبد الستار .**المدينة الإسلامية**. ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية ،1990،ص...

(3) اطلق هذا الاسم على الحمامات في العهد العثماني من طرف الاجانب لتميزها معماريا وفنيا، فصارت تعرف بحمامات « مور » و الحمامات التركية. أنظر: عربية، موساوي . **الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العصر العثماني**. دراسة اثرية معمارية: رسالة ماجيستر ، علم الاثار1990-1991، ص112.

(4) غالب، عبد الرحيم .**موسوعة العمارة الإسلامية**،ط1، بيروت:جروس بيرس ،1988، ص256.

وبمقارنة هذا الوصف للحمام بمخططه العام في الوقت الحالي وجدنا أن غرفة تتقدمها أقواس أضاف عليها منظرا جميلا. كما أن تقسيمات غرفه واسعة قبته وطريقة بنائها تدل على أنه يعود للفترة العثمانية، كل هذا جعلنا لنا نستنتج أنه ربما فعلا يكون حمام الذي أشار إليه النص[1].

المظهر الخارجي:

يقع هذا الحمام بحي الطبانة بالقرب من الجامع الكبير، يتربع على مساحة تقدر بـ 246 م^2، يأخذ شكل شبه منحرف وهو بذلك لا يختلف عن المنازل المجاورة ولا يتميز عنها سوى بقبته المتميزة، وهذا الحمام مكون من طابقين بواجهة رئيسية في الجهة الجنوبية الغربية، تطل على شارع عبد اللاوي عابد.

يحتل مدخلها الرئيسي ركن الجهة الجنوبية الشرقية من الطابق الأرضي، يعلوه عقد خدوي تتوزع على يمنه أربعة نوافذ متماثلة، أما الطابق الأول فتتوزع عليه أربعة نوافذ متشابهة ومماثلة لنوافذ الطابق الأرضي و الحمام كله نعلوه قبة مثمنة.

المظهر الداخلي:

- يفضي المدخل الرئيسي إلى ممر منكسر ومنه إلى فضاء واسع، ومن خلال مخططه العام تبين لنا أنه مقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول تمثله قاعة الباردة أو قاعة خلع الملابس، القسم الثاني القاعة الدافئة، القسم الثالث فتمثله القاعة الساخنة

[1] موساوي عربية، سليمة . مرجع سابق. ص215.

أما بالنسبة للقاعة الباردة فاختلفت تسميتها من منطقة إلى أخرى فتعرف بـ (المسلخ) في مراكش ومصر، تضم هذه القاعة حجرات متداخلة فيما بينها، البعض منها تستعمل لخلع الملابس وهي مزودة بمقاعد حجرية وخزائن جدارية، والبعض لا ندري ما وظيفتها لكثرة الخراب الذي لحق بها[1].

أما في الجدار الجنوبي الغربي فتحة في القاعة بها أربعة نوافذ بمقاسات وأشكال متماثلة تطل على الشارع، غرضها إضاءة القاعة وتنويرها، وتقع أسفل منها مشاذب لتعليق الملابس وهي حديثة، وأما عن أرضيتها فبلطت ببلاط إسمنتي حديث يعلوها سقف من عوارض حديدية يتخللها طبقة إسمنتية، وهو يرجع للحقبة الاستعمارية، طول هذه القاعة ثمانية أمتار، وعرضها متر وثلاثين سنتيمترا، مزدانة بأربعة عقود نصف دائرية محمولة على أربعة دعامات مربعة إلى فتحة باب بمصراع خشبي واحد عرضه متر واحد، بدورة يفضي إلى القاعة الدافئة أو قاعة الاستراحة والتي يبلغ طولها أربع أمتار وعرضها متر ونصف، تتخللها أنصاف جدران مستحدثة، بلطت الأرضية بمربعات من الزليج حديث، وكسيت أسافل جدرانها على ارتفاع متر بمربعات خزفية حديثة.

أما تسقيفها فنجده يختلف عن تسقيف القاعة الساخنة وكذلك الباردة، إذ يمتد عليها سقف مقبى مبني بالآجر غير المثقب لسهولة ترصيصه، وهناك فتح في الجدار الشمالي الشرقي لهذه القاعة فتحة باب معقودة في أعلاها بعقد جميل إلى الاستقامة تفضي إلى القاعة الساخنة.

---

[1] غالب، عبد الرحمان . مرجع سابق. ص140.

وتعتبر أهم قاعة بالحمام، وتختلف تسميتها هي الأخرى من منطقة لأخرى، فنجدها في فاس تعرف بـ(التخلي)، و تدعى في القاهرة بـ(الحرّارة) وأما في دمشق فيطلق عليها (الجوّاني)[1].

أما بالنسبة للجدران هذه القاعة بنيت بعناية كبيرة، حيث فاق سمكها سمك القاعات الأخرى، وذلك لكي لا تتصدع بفعل الحرارة المرتفعة، أما مادة بنائها اعتمدت على المزج بين الآجر غير المثقب، الذي استخدم في تشكيل العقود والقبة، وفي بعض أجزاء الجدران وذلك لسهولة تراصه وكذلك مقاومته للماء الساخن، كما استعمل إلى جانبه حجر الحيدي لصلابته وسهولة تسويته من جهة ودوره في حفظ درجة الحرارة داخل الحمام[2].

وأما فيما يخص توزيع المياه فيتم عبر قنوات حديثة، مما يدل على أن الحمام طرأت عليه تغيرات كبيرة أثناء الحقبة الفرنسية، نلمسها في افتقار الحمام إلى أهم مرافقه الضرورية مثل الفرناق ومخزن للحطب وخزانات المياه، كما نلمسها في الطابق الأول الذي نصعد إليه عبر رحبية كلاهما يقع على يسار المدخل الرئيسي، أحدهما في ركن الجهة الشمالية الغربية، وهو عبارة عن درج حجري دائري محفوف بدرابزين حديث يفضي إلى قاعة مستطيلة طولها اثنان عشر مترا ونصف وعرضها ثلاثة أمتار، تتوزع على كلا جانبيها أربعة نوافذ كبيرة منها عرضها متر واحد وارتفاعها متر وأربعين سنتيمترا تطل على السطح،

---

(1) غالب، عبد الرحمان . مرجع سابق. ص141.

(2) عثمان، عبد الستار .**نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكة الباقية بمدينة القاهرة**. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،2000، ص439،438.

والصغيرة مماثلة لنوافذ الطابق الأرضي وتطل على الشارع، كما يوجد بهذه القاعة باب آخر في ركن مؤخرتها، يفضي إلى الساحة محيطة بقبة الحمام[1].

وفي الأخير رغم التغييرات التي تعرض لها الحمام أثناء الاحتلال الفرنسي، ورغم الحالة المزرية التي يوجد عليها اليوم إلا أنه ما يزال محافظا على طابعه الاصلي على غرار الحمامات الجزائرية في العهد العثماني.

ب – قصر الباي (القصر الجديد):

موقع القصر وتاريخه:

يقع القصر ضمن المجمع المعماري المسمى بالقصر الجديد [2] **(أنظر الملحق رقم(06))** الذي يضم أيضا البرج الأحمر، والأبراج الاسبانية والقطاع العسكري ومتنزه ابن باديس والفندق.

يوجد القصر الجديد في وسط مدينة وهران يشرف على البحر من الناحية الشمالية، أما جنوبا فنجد نهج الصومام وساحة المسرح، وشرقا حديقة فيشي، أما من الناحية الغربية فيحده نهج خديم مصطفى.

يعود تأسيسه إلى العصر الوسيط فيما ينسبه البعض إلى الفنيقين، نسبه البعض الاخر

---

[1] موساوي عربية، سليمة .**المرجع سابق**. ص140-147.

[2] هي التسمية الاسبانية لقصر الباي، وما تزال متداولة إلى اليوم، أما المسلمون فكانوا يسمونه أحيانا قصر " الأمحال " و أحيانا " البرج ".

إلى تجار مالطيين، بنوه بأمر القديس جون ملك بيت المقدس [1]، وينسبه المؤرخون العرب إلى ((أبي الحسن المريني))، وفي هذا الصدد يقول صاحب دليل الحيران: « ... والبرج الأحمد وبرج المرسى الأول فبناهما أبو الحسن المريني ... »[2]، يؤكد ذلك ابن زرقة بقوله « ... والسلطان أبو الحسن المريني هو الذي بنى مرسى وهران والبرج الأحمر فيها ...».

ثم بناء السور الذي لازال قائما إلى اليوم خلال احتلال الاسباني الأول للمدينة [3] وخلال فترة الاحتلال الاسباني الثانية[4]، تم بناء الكثير من المنشآت أهمها المدخل التذكاري ومراقد الجند.

ويعد قصر الجديد أهم الأبراج [5] لموقعه الاستراتيجي، ولتحصيناته الدفاعية القوية، حيث كان يعتبر الملاذ الأخير للإسبان.

تقدر مساحته الحالية بأكثر من عشرة آلاف نصل إليه عبر مدخله التذكاري الذي يتضمن لوحة رخامية مثبتة في أعلاه، سجل عليها الاسبان جميع الاضافات التي تمت خلال حكم الملك ((شارل الثالث))، ولما حرر الباي محمد الكبير وهران، خلد هذا الفتح على لوحة من رخام مثبتة فوق اللوحة السابقة تحمل تاريخ (1206–1791م).

غداة جلاء الإسبان، اختار الباي المنطقة الأهم من قلعة الحصينة وهي المنطقة

---

[1] بوعزيز، يحي . مرجع سابق. ص87.

[2] الزياني، محمد يوسف . مصدر سابق. ص158.

[3] دامت هذه الفترة من الزمن قرنين أي مابين 1509– 1708م.

[4] امتدت هذه الفترة من سنة 1732م إلى غاية 1792م.

[5] نذكر من هذه الأبراج: برج العيون، برج بوبنيفة، برج اليهودي، وقلعة مرجاجو.

الجنوبية لبناء قصره، حيث يشرف على المدينة القديمة والجديدة[1]في آن واحد كما يشرف على الجهة الجنوبية والشرقية وأيضا على الواجهة البحرية[2].

وقد ورد ذكر القصر في كثير من النصوص التاريخية العربية والأجنبية، والتي جمعت على ذكر مؤسسه وهو الباي محمد الكبير، وفي هذا الصدد يقول صاحب دليل الحيران: « ... ثم بنى في السنة السابعة والمأتيين والألف خمس قلة البرج الأحمر ...»[3].

أصبح القصر مقر حكم وإقامة الباي محمد الكبير والبايات من بعده طيلة ثماني وثلاثين سنة.

وفي عام 1831م غزت جنود الاحتلال الفرنسي وهران، من حينها أصبح القصر مقر حكم العسكريين الذين تدولوا على حكم المدينة، وثكنته العسكرية تضم إضافة إلى العشرات من الجنود مسؤولية معظم القطاعات العسكرية وقد أطلق عليه اسم فندق الفرقة العسكرية.

وتعرض القصر كذلك أثناء الاحتلال الطويلة إلى الكثير من التغيرات والإضافات أفقدته جانبا هاما ما من أصالته فنقلا عن أحدى الضباط الفرنسيين أن أقسام القصر خضعت منذ الغزو للتعديل لجعله يتلاءم مع متطلبات الحياة الأوربية.

وبعد سنة 1962م، صار مجمع القصر الجديد بما في ذلك قصر الباي تابعا لمؤسسة

---

(1) المدينة القديمة الأحياء بنيت قبل 1792م على الضفة الغربية من وادي الرحي، أما المدينة الجديدة فهي التي شرع الباي في بنائها على الضفة الشرقية من واد الرحي.

(2) بوعزيز، يحي. مرجع سابق. ص88.

(3) المزاري، آغاين عودة . مصدر سابق.ص202.

الجيش إلى غاية 1970م ثم ترك بدون وصاية معرضا لمختلف أشكال النهب والتخريب.

وفي سنة 1990م صنف القصر كمعلم تاريخي، وأصبح مقر للدائرة الاثرية بوهران، ومازال كذلك إلى اليوم.

المظهر الخارجي:

يقع القصر في الجهة الجنوبية الغربية من القصر الجديد يمتد من الجنوب إلى الشمال على شكل منحرف، حيث تقدر مساحته بـ 4000م[1].

وعلى غرار القصور في العهد العثماني، التي تميز مظهرها بالبساطة حيث كان الاهتمام ينصب بصفة خاصة على الداخل حيث جاءت جدران قصر الباي ساذجة وعاطلة عن الزخرفة فيما عدا الأصناف التي تحدد مستويات المبني، والنوافذ والتي معظمها غير أصلي.

ويعد الديوان أهم أجنحة القصر باعتباره قاعة استقبال للحكم، قاعة الديوان مستطيلة الشكل طولها 14.0 م، وعرضها 8.24 م، ذات مساحة تقدر بـ 115.69 م، أما أرضية القاعة فهي مشكلة من عوارض خشبية رفيعة، وضعت أثناء الاحتلال، وترتفع عن الأرضية الأصلية 30 سم.

للقاعة بابان، يقع الأول في الحائط الجنوبي قريبا من الركن الجنوبي الشرقي، أما

[1] حملاوي. مرجع سابق. ص89.

الثاني فيقع في الحائط المقابل قريبا من الركن الشمالي.

يكسو جدران القاعة بلاطات خزفية، تمثل تجمعات من أربع مربعات خزفية من عدة أنواع، أما أعلى الجدران فنجد فرسومات جدارية مختلفة، أما السقف هو الآخر مزخرف برسومات متعددة على الأرضية جصية رضيعة، وجميع هذه الرسومات استحدثت خلال زمن الاحتلال.

أما المبنى المفصل، فهو يحتل الجهة الجنوبية من القصر، يتكون من ردهة وغرفة وشرفة، يشغل مساحة تقدر بـ 46 م^2، واجهة مزدانة بثلاثة عقود نصف دائرية تستند على عمودين رخاميين لهما تيجان كورنثية، يعلو العقود نتوء بارز عاطل عن الزخرفة يمتد إلى باقي الجهات يليه نتوء آخر يبدوا أكثرا بروزا ومن مواد بناء غير أصلي[1].

وقد أطلق على القسم من القصر اسم المبني المفضل لعدة، اعتبارات ومنها الموقع الذي يخله وجمال عقوده وزخارفه ودقة بناءه الأمر، جعله مميزا وذو مكانة خاصة البايات باعتباره إقامة فاخرة، وفي مقدمة هؤلاء البايات الباي محمد الكبير مؤسس القصر.

أما أرضية الردهة فزين بمربعات ، وأما السقف فهو خشبي مزدان بزخارف متنوعة مستحدثة.

يشتغل الحائط الجنوبي للردهة ثلاثة أبواب الجانبان منها يفتحان على شرفة المبنى

[1] حملاوي .المرجع سابق. ص90 –95.

يعلوهما جصية مقبولة، وهي تعد من الإضافات التي تمت خلال فترة الاحتلال.

يحتل الباب الثالث منتصف الحائط، تعلوه هو الأخر زخرفة جصية مقولية، وعبر هذا الباب نصل إلى غرفة مربعة ترتفع عن الردهة بدرجة واحدة، لها نافذة في الحائط الغربي، كما لهذه الغرفة أربع خزائن جدارية تتوزع على حوائطها، متوجهة كلها بعقد اهليليجي.

أما مبنى الإقامة يقع هذا الجناح في الجهة الغربية من القصر قبالة الديوان بينهما الحديقة الكبرى، مكون من طابقين كان مخصصا لإقامة الباي وأسرته، أطلق عليه الفرنسيون اسم ((الإقامة الزرقاء)) [1]، وقد تعرض هذا القسم إلى تغيرات كثيرة أفقدته صورته تقريبا وخاصة الطابق العلوي[2].

[1] يسمى هذا المبنى نظرا للبلاطات الزرقاء التي مازلت تغطي أرضية الصحن، والتي ترجع بدون شك إلى الفترة الاحتلال.

[2] حملاوي . مرجع سابق. ص100- 140.

ثالثا: أعلام الفكر والثقافة بالغرب الجزائري:

1. الباي محمد الكبير:

ولد محمد الباي الكبير بمليانة، التي كانت تحت قيادة والده ((عثمان الكردي))، ويساميه في الناحية الغربية ((محمد الأكحل)) [1]، تربى الباي في بلاط الحكم العثماني، بعد وفاة أبيه عثمان الكردي ترك أمر عائلته لصديقه إبراهيم المليانـي، وتحت رعايته نشأ الأمير نشأة صالحة، وأقبل على العام والفروسية، ثم صاهره بأن زوجه ابنته وأشركه في أعمال الإدارة، وهكذا ضل محمد الكبير [2] يرتقي في المناصب، من قائد خليته بزمورة ناحية غيلزان (1765- 1769م) إلى خليفة الباي إبراهيم في القطاع الشرقي وقاعدته مليانة (1769- 1779م) وبعد وفاة الباي تقلد منصب الباي ببايلك الغرب سنة (1779م /1192هـ) بتعيين من الداي محمد عثمان باشا [3] داي الجزائر [4].

---

[1] سمي بالأكحل بسبب لون بشرته الداكن.

[2] لقّبوه بالكبير حسنا وإكراما له، عندما فتح مدينة وهران.

[3] تقلد منصب داي الجزائر سنة (1766م)، بعد وفاة سلفه الداي علي بوصباع إلى أن توفي (1791م)، مؤّثرا للإنصاف والعدل عارفا لقوانين الدولة، من أبرز دايات الجزائر الذين شهد عصرهم حوادث كبرى، ما تعلق بإخماد النعرات الداخلية ورد الحملات الخارجية كالحملة الدانمارك (1767م). أنظر: بن عتو، بلبروات .**الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته (1766-1791م)**. مجلة عصور، منشورات مخبر البحث التاريخي، الجزائر: جامعة وهران ، ع 6و7، ص79 – 96.

[4] بن عتو، بلبروات .**الباي محمد الكبير باي وهران(1779 -1797م)حياته وسيرته**. مجلة عصور، منشورات مخبر البحث التاريخي، الجزائر: جامعة وهران، ع3، جوان 2003، ص80- 86.

سياسة الباي محمد الكبير في الحكم:

بمجرد تنصيبه باي على الغرب الجزائري، شرع في إصلاح شؤون الرعية، وسهر على مصالح العباد، وكان سياسة التركيز على جانبين مهمين هما الأمن والاقتصاد، ومن بين أهم حملاته تلك التي قام بها سنة (1785م/1199هـ) نحو الجنوب والتي أدب من خلالها القبائل العاصية والمستقلة، انطلاقا من مقره بمعسكر، وصولا إلى مدينة الأغواط فانقادت له جميع بضواحيها.

أما في المجال الاقتصادي، فقد تميز الباي بحسن إدارته وسياسته خلال الأزمات، وفي هذا الصدد أنشأ الباي محمد الكبير المطامير العامة في كل جهة لخزن القمح الاحتياطي في كل سنة حتى يتجنب أخطار الجذب و المجاعات.

أهم أعمال وانجازات الباي محمد الكبير:

أ -فتح وهران:

شهد عهد الباي محمد الكبير أعمالا وانجازات، تجاوزت أهميتها حدود باليك الغرب، محاربة الاسبان المحتلين لوهران، إلى أن تم فتحها في (29 فبراير 1792م)، فقد استولى على المرسى الكبير، سنة (1505م) ثم وهران (1509م)، إلى أن تم الفتح الأول لوهران في (20 جانفي 1708م) عل يد كل من الباي مصطفى يوسف (بوشلاغم) وصهره الداي محمد بكداش، وقد نقل الباي بوشلاغم مقر البايلك من معسكر إلى وهران، غير أن حكمه لم تدم طويلا، إذ تمكن الاسبان من معاودة احتلال المدينة بعد أربع وعشرين سنة (1732م)

وبمجرد استلام الباي محمد الكبير الحكم فكر في وجوب استعادة المدينة المسلوبة[1].

ب -**المجال الاجتماعي:**

كان تحرير وهران يأتي على في قمة و المقدمة الباي، ما كان هذا النجاح يأتي لولا العديد من النجاحات الأخرى التي أحرزها في مختلف المجالات، ومن هذه المآثر نذكر ما اشتهر به الباي من الاعتناء بالفقراء والمساكين وسائر المحتاجين خاصة أيام المجاعة التي اجتاحت البلاد، فكان يخزن الحبوب ويداوي المرضى بنفسه ويوزع الاموال عليهم وعلى الطلبة في كل مناسبة عيد[2].

ج - **المجال الثقافي والديني:**

كان حريصا على إحياء العلوم في البلاد، فكان يجزل العطاء للعلماء والأدباء، ولعل فكرة إحياء الرباطات في حد ذاتها نشهد بمدى حنكة هذا الرجل، فقد أدت دورا مهما في العمليات الجهادية ضد الاسبان، من خلال تعبئة الناس ونشر ثقافة الجهاد والتضحية[3].

د - **مجال العمران:**

اشتهر بكثير من الأعمال في مجال التشييد و البناء، سواء في مدينة معسكر أو غيرها من الحواضر، ففي مدينة معسكر قام محمد الكبير بتهديم المسجد العتيق وإعادة بناءه، وكذلك جامع السوق، وجلب الماء في القنوات إلى المدينة، وأجراه في مائضات المساجد.

---

(1) الراشدي أحمد، ابن سحنون .**المصدر سابق**. ص194.

(2) التلمساني، أحمد بن هطال . **المصدر سابق**. ص15 – 16.

(3) الراشدي أحمد، ابن سحنون .**المصدر سابق**. ص456.

وبعد ذلك بدأ في بناء المسجد الأعظم، الذي شيده باسمه وانفق عليه من ماله الخاص، وأوقف عليه أوقافا واسعة، كما بني القناطير والجسور وعبد الطرقات وحصن أسوار معسكر، أما في وهران فبنى فيها مسجدا سمي باسمه، أما في تلمسان جدد بناء مدرستين وأعاد لهما أوقافهما القديمة[1].

وفاته:

توفي الباي محمد الكبير في مساء يوم الأربعاء 25 جمادى الأول 1212م الموافق لـ 15 نوفمبر 1797م[2] ، بعد إكماله أيام الضيافة خرج من الجزائر على أحسن حال، فلما وصل إلى السائح بن خضرة كبير، أولاد قصير قرية قريبة من مازونة، توفي الباي هنالك وحملة أولاده مثبتا إلى وهران[3].

2.أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي:

كان ملازما للباي محمد الكبير وحضر معه الهجوم على وهران في تحريرها الثاني والأخير سنة (1206هـ/ 1792م)، واشترك معه في كل خطوات الفتح وسجل الأحداث والوقائع، ثم حكا فيه بالتفصيل قصة الفتح وسجل حياة الباي وتاريخ أسلافه، ورغم أن مدينة معسكر ومآثرها، ودور العلماء في الجهاد، ضمن الكتاب معلومات جمة سياسية واقتصادية وأدبية وتاريخية وثقافية، توفي سنة(1796م).

---

[1] مهريس، مبروك .**المرجع سابق**. ص37 – 53.

[2] بن عتو، بلبروات. **المرجع سابق**. ص85.

[3] مذكرات أحمد

نضم ابن سحنون الراشدي أرجوزة يمدح فيها الباي محمد الكبير، عندما سمع نبأ محاصرته لمدينة وهران سنة (1791م)، وقد كان عائدا من الحج، ونزل بجزيرة جربه بتونس، ومع فتح وهران في (05 رمضان 1207هـ)، وكان مضلع الأرجوزة:

حمدا لمن آزر نصر الدين *** ودان ناصرية أسنى الدين.

وفتح الأقطار بالجهاد *** حتى عدت لينة المهاد[1].

3.الشيخ محمد بن أحمد بن عبد القادر الراشدي (أبي راس الناصري):

المعروف بأبي راس الناصري يعد الشيخ من أشهر علماء معسكر على الإطلاق وأكثرهم غزارة في الإنتاج الفكري، ولد بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر سنة (1150هـ/1737م)[2] تنقل في صغره بين مسقط رأسه ومناطق تنس ومتيجة والمغرب الأقصى، حفظ القرآن الكريم، واستوعب العلوم الإسلامية على يد علماء وفقها عصره، وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر المشرف.

ثم تفرغ للتدريس و الإفتاء في مدينة معسكر قرابة الستة وثلاثين سنة، وتولى مناصب عليا بها مثل الإفتاء والقضاء، وحج مرتين واشتهر بالحافض لعزازة علمه، وكتب وألف في مختلف الأغراض والعلوم شعرا ونثرا، وخلف ورائه مئة وستة وثلاثين مخطوطا بين متوسط

---

[1] سعيدوني، ناصر الدين . مرجع سابق. ص439.

[2] سعيدوني، ناصر الدين .**من التراث التاريخي و الجغرافي في الغرب الإسلامي** ،ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي ، 1999، ص432.

وكبير، بعضها موجود و البعض الآخر مفقودة[1].

لأمل عن نسب أبي رأس الناصري، فذكر بأنه متصل إلى عمر وابن إدريس بن هبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول صلى الله عليه وسلم، وعاش أبو راس حياة متقلبة ولكنها غنية بالتجارب فقد جال في أنحاء القطر الجزائري غربا وشرقا وتجول في كل من تونس والمغرب، وزار مصر والحجار بلاد الشام وحج عدة مرات، وقد تحدث إلى بعض الحكام في كل من تونس والجزائر والمغرب على الخصوص، ولكن لم يخالطهم ولم يخالطهم ولم يتقرب منهم، ومدح البعض منهم كما أرخ للبعض منهم، وما ميز حياة أبي راس الناصري حالة الفقر المدقع التي عان منها، فلقد ذاق مرارة اليتم والجوع ومارس التسول ومشي حافي القدمين بين الناس لأكثر من عقد من زمن وسكن بعض الحواضر مثل مدينة معسكر، فشق طريقه وسط المؤامرات التي حاكها بعض العلماء ضعاف النفوس، وصادف عهد الباي محمد الكبير الذي تميزت فترته بإنعاش الحياة الثقافية والعلمية.

فحماه وقربه من مجلسه كما قربه الشيخ عبد القادر المشرفي الذي رأى فيه نبوغا وذكاء حادا له حافظة نادرة وشغف في طلب العلم، وقد تميزت مؤلفاته بطابع العثماني، فشرح المتون، وحتى الشروح واعتمد على ذاكرته، كما أكثر من التكرار والاستطراد

[1] أبو راس الناصري . فتح **الإله ومنتهى في التحدث بفضل ربي ونعمة " حياة أبي راس الذاتية و العلمية** . تحقيق وضبط وتعليق محمد بن علي عبد الكريم الجزائري،م.و.ك: الجزائر،1990، ص18.

وذكر الغرائب و العجائب[1].

ومن غريب الصدف أن مؤلفات أبي راس على كثرتها وتنوعها، لا تزال غير مطبوعة بالعربية رغم أن الأجانب قد ترجموا البعض منها ونشروها، فقد ترجم السيد أرنو (Arnoud) كتاب « عجائب الأسفار ولطائف الأخيار » إلى اللغة الفرنسية، ونشره فصولا في مجلة الإفريقية، ثم نشره على حدة سنة (1885م) بالجزائر كما ترجم له الجنرال فوربيقي (fourbiquer) كتاب الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية بالجزائر سنة (1903م)، ونشر في مجلة الآسيوية كتاب فتح الإله سنة (1899م)[2].

والواقع أن المؤرخ بن عبد الكريم، قد قدم تحقيقا لكتاب فتح الإله ومنته، ضمنه تجارية وخبرته في الميدان تحقيق المخطوطات، الأمر الذي أهله إلى نشر هذا المصدر بأمانة علمية راقية، ويعد أبو راس الناصري موسوعة قائمة بحد ذاتها، رغم كونه من أهل الفقه منتصبا للتدريس ومفتيا في المذاهب الأربعة على صلة بأهل الجاه والسلطان، وقد وقف مع السلطة العثمانية ضد الطريقة الدرقاوية، في ثورته المعروفة ضد بايات الغرب الجزائري، وقد ذكر الأستاذ أبو القاسم سعد الله أنه لا يضاهي أبا راس الناصري غزارة في التأليف من الجزائريين، إلا أحمد البوني الذي تجاوزت مؤلفاته المائة[3].

---

(1) الناصري، أبو راس .المصدر نفسه. ص24،25.

(2) المدني، أحمد توفيق.حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492/،ط2،1792، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1976، ص141،142.

(3) أبو القاسم، سعد الله . مرجع سابق. ص337.

ويعد كتاب فتح الإله منته(**أنظر الملحق رقم(07)**)، سيرة ذاتية له يتحدث فيها عن أهله وبيئته وشيوخه وعلومه وأسفاره، ومن لقيهم من علماء في المشرق والمغرب، وقد عاش أبو راس أكثر من ثمانين سنة قضى جلها في طلب العلم والتدريس، خاصة بمدينة معسكر وقد توفي أبو راس يوم (15 شعبان 1238هـ الموافق لـ 17 أفريل 1823م)[1].

وقد ذكره محمد بن يوسف الزياني في كتابه فقال: « مات مجدد القرن الثالث عشر ذو التأليف العديدة والتصانيف المدينة يوم الأربعاء 15 شعبان 1238 هجري »[2]، وذكر بن عودة المزاري عن وفاة الشيخ أبي راس الناصري أنه دفن بعقية بابا علي بمعسكر[3].

وذكر أبو راس الناصري الشيوخ الذين تتلمذ عليهم، ونقل منهم العلم، وكان لهم الاثر الكبير في مسيرته العامية والثقافية، وذكر أن أبرزهم كان والده الشيخ أحمد، ثم الشيخ محمد بن مولاي علي بن سحنون قاضي معسكر لدراسة الفقه.

ثم خلفه الشيخ بن شبنين ثم ذهب الفيضة، حيث درس على يد الشيخ القادر المشرفي ومصطفى بن المختار، سافر إلى مازونة وسكن بالقرب من الشيخ محمد بن لبنة بقرية الطيران، إحدى جهات بن علوفة، كذلك درس على يد الشيخ العربي بن نافلةمحمد الصديق

---

(1) بوعزيز، يحي . المرجع سابق. ص234.

(2) الزياني، محمد ين يوسف .**دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران.** نشر وتحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعيدلي، الجزائر: ش.و.ن.ت ، 1978، ص178.

(3) المزاري ، آغا بن عودة .المصدر سابق. ص349.

بن أفغولة شيخ الإسلام الذي شدت له الرحال من زواوة وغريس[1].

وقد تنوعت مؤلفات أبي راس الناصري، وشملت مختلف المعارف والعلوم، زمن بينهما زهرة الشماريخ في علم التاريخ، المنى والسلول من أول خليفة لبعثة الرسول، دردة الشقاوة في حرب الترك مع الدرقاوة، عجائب الأسفار في الطائف الأخبار فيما جرى في وهران والأندلس بين المسلمين والكفار، مروج الذهب في نبذة من النسب ومن إلى الشرف انتمى الذهب، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، فتح الإله ومنتهى في الحدث بفضل ربي عظمته[2]، وله أيضا، نبأ الإيوان، ما جاء والقيروان، ومؤنس الأحبة في أخبار جربه[3].

4. أبو العباس الحاج أحمد بن هطال التلمساني:

باي الإيالة الغربية، ومبعوثا له في المهمات الخارجية، فقد حدثنا أحمد بن علي سحنون في كتابه « الثغر الجماني، ابتسام الثغر الوهراني » أن محمد الكبير عندما كان يستعد لفتح وهران.

وجه كاتبه أحمد بن هطال مع قاضي المحلة، مصحوبين بهدايا إلى السلطان الغرب الأقصى، ليسمح لهما بشراء ما يحتاج إليه الباي من أسلحة حربية، ومن هناك توجه أحمد بن هطال إلى جبل طارق، حيث وجدا في انتظاره قنطارين ونصف قنطار من البارود قد اشتراها الباي من الانجليز، فعبأها وعاد بها إلى بلاده.

---

(1) الناصري، أبو راس .المصدر سابق. ص45.

(2) بوعزيز، يحي .**(أعلام الفكر)**.المرجع سابق. ص241.

(3) بوداود، عبيد .**معسكر المجتمع والتاريخ**. معسكر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، 2014، ص50.

وبعد وفاة الباي محمد الكبير، ظل ابنه عثمان يشتغل المنصب نفسه الذي كان مشغولا به إبّان حياة أبيه، ولما توفي الباي المذكور، أصبح ابن هطال كاتبا للباي مصطفى بن عبد الله العجمي وأربع بايات الإيالة الوهرانية.

استشهد ابن هطال في معركة وقعت بين الأتراك وابن الشريف الدرقاوي وأنصاره وذلك أوائل ربيع الأول سنة (1219هـ)، وكان دوران رحى هذه المعركة المشئومة في مكان يقال له « فرطاسة» يقع بين « مينا » و « واد العبد » وقد انتصر في هذه المعركة ابن الشريف الدرقاوي وأنصاره انتصارا عظيما فقتل عدد كبيرة من جنود الباي مصطفى، ومن بين هؤلاء القتلى كاتبه الحاج أحمد بن أهطال و أبو عبد الله محمد الغزلاوي[1].

[1] بن هطال، أحمد التلمساني .**رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراء(1785)**. تحقيق محمد بن عبد الكريم،ط1، الإمارات العربية المتحدة : دار السويدي للنشر والتوزيع ،2004،ص ص 15 16.

الفصل الثالث:

الحياة الثقافية في الغرب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي

- أو ضاع المؤسسات الثقافية في بدايات الاحتلال.
- الحياة الفكرية والتعميمية في دولة الأمير عبد القادر.
- أعلام الفكر والثقافة

أولا: أوضاع المؤسسات الثقافية في بدايات الاحتلال:

بعد سقوط الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي سن ة (1830م)، أعلن قادته وعساكره سبب مجيئهم إليها في بيان (1830م) والذي أرسله القائد الحملة الفرنسية القائد العام الكونت ديبرمون، والذي يتعهد فيه بحماية وصيانة الممتلكات الجزائري من أوقاف ومساجد وممتلكات، ثم جاءت معاهدات التسليم التي تعهد فيها بشرفه وشرف فرنسا أن البنود التي حملها سوف تنال كل الاحترام والتقدير [1] خاصة فيها ما يتعلق بحرية الأشخاص ومعتقداتهم الدينية في البند الخامس حسب ما أورده حمدان خوجة [2] من أنه لم يقع أي اعتداء على حرية السكان في دينهم وأملاكهم [3]، ولارتباط التعليم بالدين ارتباطا وثيقا فكرة السلطات الاستعمارية في التنكر لما وعدت به عن طريق التنكر لما جاء في هذه المعاهدة ولتنفيذ سياستها التي كانت رأى مفكروها أنها تنقسم إلى قسمين:

-القسم الأول: العمل على تثبيت الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية.

-القسم الثاني: احلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية (الفرنسة).

---

(1) أبو القاسم، سعد الله . **الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)**. ج2، بيروت:دار الغرب الإسلامي ، 1992، ص421.

(2) حمدان بن عثمان ،خوجة (1773-1841م) مثقف وكاتب جزائري مشهور، ولد بالجزائر وهو من عائلة حضرية عريقة، تملك أملاك كبيرة بالجزائر، غادر الجزائر منفيا إلى باريس(1833م)، واصل نضاله فيها للدفاع عن القضية الجزائرية، كتب كتابا هدفه تنوير الرأي العام حول حقيقة ما يجري في الجزائر يحمل عنوان "المرآة" صدر سنة (1833م)، وكتابا آخر "انحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء"، يتناول فيه مختلف الأمراض الواردة في الجزائر من الخارج. أنظر: عميراوي، حميدة . **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840م)**. ط1، الجزائر: دار البعث ،2005،ص 61.

(3) خوجة، حمدان بن عثمان . **المرآة**. تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبير، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،1982

فمنذ السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي تدهور التعليم وبدأ في التراجع ويشير لوبيشو (lepscheux) المفتش العام للدراسات أن الكثير من الكتب ، بفعل عمليات الاحتلال المذكورة للمساجد كما تم إتلاف جزء كبير من المخطوطات التي كانت تستعمل كقاعدة للتدريس، مع استمرار الحركة الاستعمارية في توسيع بالداخل بدأ التعليم يعيش فترة فتور قاسية بسبب كثرة الحروب ومشاركة الطلبة في الثورات المختلفة، حيث ساهم ذلك في هجرتهم من المدن نحو الريف طلبا للعلم والمعرفة[1].

لقد شهدت الثقافة الجزائرية غزوا وتهجما نتيجة الاحتلال فالمواسم الوطنية والتاريخية واللغة، إما اختفت وإما اضطهدت وكانت المساجد قد حولت إلى كنائس أو مستشفيات أو متاحف ((كما أن المثقفين الجزائريين قد فقدوا تدريجيا الاتصال بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم، أما الفلاحون فقد تركوا للخرافات والجهل، وقد كانت اللغة العربية أكثر النظم الوطنية الجزائرية معاناة، وبالتالي عموما قد تضررت[2]، فاللغة العربية كمقوم من مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، قد حوربت بمختلف الأساليب والمضايقات الإدارية، وكان الهدف من هذه الحرب التي شنها الاحتلال الفرنسي للقضاء على اللغة العربية تمهيدا للقضاء على الثقافة الإسلامية وبالتالي القضاء على الشخصية الجزائرية[3].

من المعروف تاريخي أن التعليم في الجزائر كان منتشرا بشكل يشمل جميع المناطق

---

(1) أبو القاسم، سعد اللهٍ. (الحركة الوطنية). المرجع السابق ص71.

(2) تركي، رابح .**التعليم القومي والشخصية الجزائرية(1930-1965م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

(3) خليل، كمال .المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر التأسيس والتطور(1850-1951م)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري: قسنطينة، 2007-2008، ص17.

وحتى المناطق النائية منها، وخاصة داخل النواحي العريقة في الميدان الثقافي، كمدن تلمسان وندرومة ومعسكر ومازونة ووهران والعاصمة ولمدية وقسنطينة وكذا غرداية والوادي وغيرها، فقد حوت هذه المدن قبيل الاستعمار الفرنسي مراكز لأكبر المعاهد العلمية والتربوية في الجزائر، غير أنه لا توجد ما نسميه جامعة إسلامية مثل جامع الزيتونة أو الأزهر والقيروان[1].

يعتبر الدين الإسلامي مقوما كبيرا للشخصية الجزائرية، من هنا يتجلى دور المساجد والزوايا التي أدت وضيفتها في نشر التعليم بجميع أنواعه وإلحاقها بالمدارس والمعاهد العليا مثل مازونة وبطيوة ومعسكر ، فعلى مستوى الغرب الجزائري وعلى غرار المناطق الجزائرية الأخرى فإن المجتمع قد استطاع الحفاظ مقوماته المرتبطة باللغة والدين وعلى جذورها الثقافية العميقة بين جميع الأوساط، رغم المعاناة من سياسة الاحتلال والاستعمار وتطبيق سياسة الاضطهاد الفكري ومعارضة تعليم وتثقيف فئات المجتمع عموما وتجهيله[2].

لقد شهدت المنطقة الغربية عدم الاستقرار، وهذا لطول المقاومة القاسية التي شهدتها والتي قادها الأمير عبد القادر (1832–1847م) ودمرت معالمها الأدبية، مثل معسكر ووهران وتلمسان ومستغانم، وهجرة علمائها وطلبتها وتعرضت مكاتبها ومساجدها للنهب والهدم، حيث كان ضباط الجيش ومرافقوهم في عملية الغزو ينهبون المكتبات التي يعثرون عليها ويبيعون الكتب للأوربيين الذين ينقلونها إلى أوربا، وهو ما ساهم في بعثرة المنتوج

---

[1] أبو القاسم، سعد الله . **(تاريخ الجزائر)،ج1**. المرجع سابق. ص273.

[2] مهدي، إبراهيم .**المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى (1850–1912م)**. دراسة تاريخية واجتماعية، وهران: دار الاديب ،2006، ص11.

الفكري والتاريخي في العالم، فضلا إحراق الأخرى في حادثة رهيبة تبين ما فعله الجيش الفرنسي بالموروث الثقافي في الجزائر أثناء حربه ضد الأمير عبد القادر الذي شعر بالحزن وهو يتتبع آثار الطابور الفرنسي، مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيون من الكتب التي عان الكثير في جمعها[1].

لقد عانت المؤسسات الثقافية بالغرب الجزائري تحت وطأت الاستعمار، وفي صدد نسير زحالة بعضها من مساجد وزوايا ومدارس:

ففي مدينة وهران ومعسكر، لم يتعرض إلا مسجد الباشا و جامع الكبير بمعسكر لبد الاستعمار الفرنسي بالمس والتخريب والهدم والتحويل.

أما مسجد الباي محمد الكبير بوهران، فكان لأول مسجد ضحية التخريب والطمس، حيث حولته السلطات الفرنسية إلى مستشفى عسكري منذ اليوم الأول للاحتلال يوم (17 أوت 1831م) وطمست معالمه العمرانية أحيط بالمئذنة جدار فصلها عن البنايات المجاورة وبيت الصلاة وأحاطوا بها الغرف و المخازن والعمارات وهدموا قبته الجملية، وخصصت بيت الصلاة مضجعا مرضي الجنود الفرنسيين، بحيث إذا نظر المرء إلى هذا المسجد من الخارج أو الداخل لا يظهر له ما يدل على أن هذه البنايات كانت مسجدا، كذلك مسجد سيدي الهواري، الذي وقع له ما وقع بمسجد الباي حيث أصبح تابعا للجيش الفرنسي واتخذه إدارة عسكرية ومخزنا للعتاد العسكري[2].

---

[1] تركي، رابح .المرجع السابق. ص97.

[2] مهريس، مبروك .المرجع السابق. ص37-48.

أما مسجد العين البيضاء أو مسجد المبايعة، فقد احتجز ووضع مخزنا للعتاد العسكري، ليطمس الاستعمار الفرنسي معالم واسم هذا المسجد المزدوج الشريف الذي تعاقب عليه شرفيين، الأول الباي محمد الكبير فاتح وهران، والثاني الأمير عبد القادر بطل المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي وألحق بهم هزائم نكراء، وأنه ليس من مصلحة الاستعمار أن يترك هذا المسجد مفتوحا وهذه أسمين المجاهدين الكبيرين، فعمد الاستعمار إلى حيلة لتنسيت سكان معسكر بهذه الأسماء التي تبعث في نفوس الجزائريين الحماس والتذكير بأيام الجهاد فحدث أن اشترى مستوطن معمر فرنسي أرضا مجاورة للمسجد، و بالأرض قبر لرجل صالح يسمى " سيدي حسان " فطلب المعمر من أن ينقل القبر من أرضه، فنقلوه ودفنوه أما المسجد(مسجد العين البيضاء)، ومنذ ذلك الحين غيروا اسمه وأطلقوا عليه اسم " جامع سيدي حسان "[1].

أما بمدينة تلمسان فقد حدث لمسجد المشور ما حدث لغيره من المساجد، فبعد الاحتلال الفرنسي للمدينة عام 1840م بنقضهم لمعاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر سنة (1839م)، استولوا على قلعة المشور وتمركزوا بها، وستولى على المسجد وحولوه إلى كنسية، وقاموا بنزع سقفه وجددوه على هيئة كنيسة، فأزالو القبب المتوقع وجودها في المبني الأصلي واستحدثوا بدلا منها ثلاث أبعاد علوية مقوة على شكل حذوة حصان من الشرق والغرب.

وبقي مسجد المشور كنيسة مدة زمنية إلى أن تركز الاحتلال الفرنسي للمدينة وكثر

[1] مهريس، مبروك .المرجع السابق. ص50.

عنصرهم الأوربي المسيحي وأسست كنائس أخرى خارج المشور وغادر المدنيون القلعة، فاستغنى عن كنيسة المشور، وحول إلى مخزن للمستشفى العسكري ومستودع لحاجياته، وبقي على هذا الحال إلى أن تحررت الجزائر من الاستعمار[1].

-دور الزوايا:

لقد ساهمت الزوايا بشكل كبير في نشر التعليم وخاصة ما كان مرتبط باللغة العربية والدين الإسلامي ولذا التف سكان منطقة الغرب الجزائري حولها خاصة بعد أن حرم الإنسان من حقه في التعليم والقراءة من قبل السلطات الاستعمارية، فهي تعتبر المرجعية الدينية لأغلبية السكان خاصة بعد تزايد الحملات التبشيرية ضد الإسلام.

إلى جانب دورها التعليمي والثقافي قامت الزوايا بعدة أدوار سياسية تمثلة خاصة في المقاومة الشعبية والتي اندلعت في كامل جهات الوطن منذ (1832م)، حيث كان معظم زعماء تلك المقاومات من التابعين لطريقة من الطرق الصوفية أو تابعيين لزاوية صوفية مثل مقاومة الأمير عبد القادر التي اعتمدت على الطريقة القادرية أو ثورة الشيخ بوعمامة التابعة لطريقة الشيخية[2].

لقد قاومت الزوايا كل مخططات الاستعمار الفرنسي في الجزائر من خلال تمسكها بالقرآن الكريم والشريعة الإسلامية وتربية الجزائريين تربية روحية وحافظت على التراث الفكري للمجتمع الجزائري.

---

[1] بوعزيز، يحي **(المساجد العتيقة في الغرب)**. .المرجع سابق. ص110.

[2] خليفي، عبد القادر .**المقاومة الشعبية لشيخ بوعمامة**. بيروت: دار العرب للنشر والتوزيع ،2004، ص64.

-مدرسة مازونة:

لقد كان حظ مازونة من الدمار والخراب على يد المعتدي الفرنسي باهظا فشوه معالمها وقضى على عدة رموز لحضارات تعاقبت عليها، كما خضع مازونة للتقسيم العسكري وخرب جل زواياها ومناراتها العلمية ومساجدها، مما أدى إلى تشويه كل الروح و الطابع العمراني لهذه المدينة التي كانت قبلة العلم والثقافة يقصدها العلماء والطلبة، حيث قامت السلطات الفرنسية بقطع الطريق أمام خريجي المدرسة بحرمانهم من الوظائف الرسمية واستبدالهم بخريجي المدارس الفرنسية، وذلك لإحداث هوة بين الشعب و تسهيل السيطرة، لكن رغم ذلك واصلت المدرسة رسالتها، وازداد توافد الطلبة عليها من شتى الأقطار وأضاف المشايخ والعلماء لواء المقاومة ولواء العلم[1].

أما المدرسة المحمدية ومدرسة خنق النطاح، فالمدرسة الأولى وبعد الاحتلال الفرنسي لمدينة معسكر (1841م) حول المسجد والمدرسة إلى مخزن للقمح كما تم اقتطاع أجزاء من الوقف المخصص للمدرسة والمسجد فحول بعضها لمستشفى يرف اليوم بالدارياكس، والبعض الآخر إلى مساكن لا تزال قائمة لحد الآن، ظلت المدرسة مغلقة لحد اليوم كذلك وهي كسكن لإمام مسجد المبايعة[2].

---

[1] ميلود، ميسوم .المرجع سابق، ص91-92.

[2] بوكعبر، تقي الدين .المرجع السابق. ص6.

كذلك مدرسة خنق النطاح بوهران فاحتجزت من طرف الجنود، وحول مسجدها إلى حماما لهم تحت القبة الرئيسية الملاصقة للمئذنة[1].

ثانيا .الحياة الفكرية والتعليمية في دولة الأمير عبد القادر:

1. الأمير عبد القادر الجزائري:

نسبه:

ينسب الأمير عبد القادر الجزائري، نفسه إلى ذرية سيدنا علي بن أبي طالب، وقد كانت أسرته تعتز بامتداد حلقاتها حتى الإمام علي بن أبي طالب[2].

ولد عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى [3] وابن السيدة الزهراء يوم 23(رجب 1222هـ/ 26 سبتمبر 1807م) في قرية القيطنة، تلقى دروسه الابتدائية في مسقط رأسه القيطنة تحت إشراف والده، فأخذ منه مبادئ القراءة والكتابة وأتقنها في سن مبكر لا يتجاوز الخمس سنوات، ثم لقنه العلوم الإسلامية وحفظه القرآن الكريم في زاوية أسلافه بال قيطنة كذلك فنشأ في ذلك بيت علم وتقوى في بيئة دينية متعلمة ومحافظة.

---

(1) مهيريس، مبروك .المرجع السابق. ص41.

(2) الزبيري محمد العربي، **الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للطباعة ، 1982، ص12.

(3) مصطفى بن المختار الغريسي هو جد الأمير عبد القادر أخذ القادرية على يد الشيخ عبد القادر المشرفي حين زار بغداد في طريه للحج، تبرع بماله لتوسيع ضريح عبد القادر الجيلالي، أسس زاوية بوادي الحمام (1206هـ/1791م) فوظف بزاويته أجّل العلماء أمثال شيخه عبد القادر المشرفي سنة (1202هـ/1798م).

وفي الخامس عشر رحل إلى مدينة أرزيو للدراسة على قاضيها الشيخ (أحمد بن الطاهر)[1] قبل أن يتحول إلى مدينة وهران انتسب إلى مدرسة أحمد بن خوجة [2] التي قضي فيها ما يقرب السنة، انكب فيها على توسيع معارفه اللغوية والفقهية، فضلا عن ذلك لم يعرف الأمير نفسه من العلوم الأخرى، فكان يقرأ كل ما تصل إليه يده من كتب العلم و الفلسفة كأعمال فيثاغورس[3] وأرسطو[4]وغيرهم من المتون.

لقد اهتم الكثير من الباحثين والدراسيين بتاريخ الأمير عبد القادر ومقاومته للاستعمار الفرنسي، لكن في دراستهم العديدة ركزوا على الجانبين العسكري و السياسي لهذه المقاومة حيث أن الأمير ((المحارب)) أخفى الأمير (العارف) و(العالم) و(المدرس) ...[5]

ورغم مهام الأمير الحربية إلا أنه كان رجل عالم يفسر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويراسل علماء العالم الإسلامي مجادلا ومجيبا ومفسرا [6]، كذلك فإن المستوى الثقافي

---

(1) أحمد الطاهر الرزيوي .أصله من مدينة أرزيو بوهران، تولى القضاء على عهد الأتراك بوهران، ودرس على يده الأمير عبد القادر عندما فرض عليهم الباي حسن الإقامة الجبرية، لكن بعد تولي الأمير الإمارة قدمه للمحاكمة وأعدمه في مدينة معسكر بعد أن ثبت تعامله مع الفرنسيين أعداء البلاد. أنظر: بوعزيز يحي، **(أعلام الفكر)** . المرجع سابق، ج2، ص210.

(2) مدرسة أحمد خوجة، أصل صاحب المجرسة من مستغانم أستوطن في بوهران أنشأ بها مدرسة للأعيان، منشط في الكتابة حيث كتب) دار الأعيان في أخبار وهران) وتتلمذ على يده الأمير عبد القادر وغيره من أبناء الأعيان.

(3) فيثاغورس: فيلسوف يوناني وعالم رياضيات، ذاع صيته بسب نظريته المشهورة (فيثاغورث) ولد في جزيرة ساموس، استقر في ايطاليا عام (529 ق.م) اشتهر بفكرة تناسخ الأرواح التي تجلت في الكثير من النظريات الدينية.أنظر: **الموسوعة العربية العالمية**. ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، 1999، مجلد17، ص168،167.

(4) أرسطو فيلسوف وعالم يوناني، من تلاميذ أفلاطون. أنظر: **المرجع نفسه**، ص506.

(5) بن داود، أحمد . **المقاومة الثقافية للأمير عبد القادر من خلال التعليم** ، مجلة عصور الجديدة، ع 10، جامعة وهران،2014، ص218.

(6) قاسي، فريدة .**الدولة في فكر الأمير عبد القادر (1832 –1847م)**، منشورات البونة للبحوث و الدارسات: الجزائر، 2012، ص191.

كان مشرفا أثناء فترة الإيالة ويرجع الفضل في ذلك إلى الزوايا، كما كان العلماء والفقهاء ومثلهم الطلبة أو المدرسون هؤلاء وأولئك يجيدون بعلومهم ومعارفهم [1]، وللحفاظ على هذا المستوى العلمي والثقافي أقبل الأمير عبد القادر أثناء تنظيم إدارته بتوجيه عناية خاصة لتنظيم العلم وتشجيع الطلبة، وكان اهتمامه هذا من منطلق انحداره لأسرة عريقة في العلم، من خلاله وجه عناية خاصة، للتعليم وعمل على إنشاء هياكل ثقافية وإعطاء اهتمام كبير للعلماء والأدباء من أجل تكوين مجتمع مثقف واع.

2. دلائل اهتمام الأمير عبد القادر بالتعليم:

لم يكن اهتمام الأمير بالعلم والتعلم محصورا في شخصه أو ذويه فحسب بل أراد أن يوجه هذا الاهتمام لجميع أفراد الأمة الجزائرية فاجتهد على وضع أسس نظام تعليمي بين جميع القبائل هدفه المحافظة على وحدة الثقافة العربية الإسلامية وتماسكها بالمحافظة على التراث الجزائري وتغذيتها في حركة الكفاح ضد الاستعمار [2]ويشير هنري تشرشل بقول أشاد به الأمير عبد القادر " واجبي كحاكم ومسلم أن أؤيد وأبعث العلوم والدين لذلك فتحت المدارس بين المدن والقبائل وفي هذه المدارس كان الأطفال يتعلمون الصلوات ويحظون تعاليم القرآن وقروضه ويعرفون جيدا القراءة والكتابة والحساب" [3]

---

[1] بوطالب، عبد القادر . **الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية** ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية: الجزائر، 2010،ص 103.

[2] فريدة قاسي. المرجع السابق ، ص131.

[3] هنري تشرشل. **حياة الامير عبد القادر،ترجمة**،ابو القاسم سعد الله، تونس: دار التونسية للنشر،1974 ،ص152.

ومن أجل نجاح مشروعه التعليمي جعل التعليم مجانا وأصبح لأول مرة مهمة حكومية وللطلبة الراغبين في مواصلة تعليمهم يرسلون إلى الزوايا والمساجد وهناك أيضا يجدون استعداد لتعليمهم التاريخ وعلوم الدين [1] فكان التعليم ذو المستوى الأعلى الملقن في الزوايا والمساجد ، وكتب الأمير عن موضوع التعليم من خلال العبارات التالية" كان أولئك الذين يبتغون قدر أكبر من التقدم في دراستهم يرسلون مجانا إلى الزوايا و الجوامع فكانوا يجدون فيها طلبة فادرين على تكوينهم في التاريخ وعلوم الدين ، كنت أخصص للطلبة راتبا منتظما كانت قيمته تتفاوت حسب علمهم وجدارتهم ، وكانت أهمية تشجيع التعليم تبدو لي من الضرورة بمكان بحيث أنني أكثر من مرة عفيت عن حكم الإعدام على مجرم ليس وحيد هو كونه طالبا"[2]

بالإضافة لتعيين الأمير ناظرا للأوقاف داخل حكومته يدعى الحاج الطاهر أبو زيد الذي تولى الشؤون المتعلقة بالأوقاف والمساجد و ربط التعلم بإدارته ، وقدم للمعلمين مرتبات لهم حسب درجاتهم العلمية وكفاءة كل واحد منهم فكان للأمير يحيطهم باحترام وتقدير متزايد وأعطاهم مرتبة عالية وجعل من مدرسين لقوله " أعز المساعدين له في المهمة المقدسة التي رسمها" ، وقد حدث أنه عفا عن أشخاص ارتكبوا جرائم كبيرة بحجة أنهم معلمون مبررا موقفه هذا بأنه لن يقدم على إعدام شخص تطلب تكوينه سنوات طويلة وبذلك يعبر الأمير عن موقفه الإنساني السامي وعن سماحته إذا يعطي فرصة لمجرم للتكفير عن ذنوبه وأعاد تربيته وإدماجه من جديد في المجتمع ، وهو أول من أدخل نظام الوجبة الغذائية للمدرسة وهذا النظام جديد ومبتكر في ذلك الوقت.

---

[1] هنري تشرشل. المرجع نفسه، ص152.

[2] علي محمد الصلابي. المرجع السابق، ص 139.

كما حرص الأمير على الجانب المعنوي لهؤلاء الطلاب وأعطى أوامره باحترام المثقفين والعلماء أينما وجدوا مع إعفائهم من الضرائب لحاجتهم للمال من أجل ظروف دراسية مستقرة ، كما أجرى امتحانات دورية لمعرفة المجتهدين .

قدّس الأمير عبد القادر المعرفة والدراسة والثقافة في فترة الحرب والدمار أو السلم على حدً سواء، وفي هذا الإطار يقول دينيزين وهو شاهد عيان " أن الأمير عبد القادر أرسل ثلاثين شابا عربيا إلى مرسيليا ليتعلموا هناك الفنون و المهن على حسابه الخاص" وشجع الأمير المتفوقين من الطلبة خلال تقديم منح خاصة لهم[1].

وخلال فترة السلام في دولته 1837–1839 بقيت مناهج التعليم ومواده على حاله إنما تدريسها أصبح مهمة فقهاء القبائل والزوايا في مراحلها الابتدائية والثانوية والعالية [2] وبذل الأمير كل قصار جهده في جمع الكتب والمحافظة على المخطوطات من الضياع وحرص على ذلك بنفسه فكان يقدر جيدا الزمن الذي يلزم لكتابة نسخة واحدة فالحفاظ عليه أفضل من بذل ذلك المجهود الذي يجدر توجيهه لمساعي وعلوم جديدة ، وبالإضافة إلى تقديم عقوبات كل من يتلف ويفسد مخطوطا[3]

وهكذا فقد انشأ مكتبة كبيرة لتجميع المؤلفات والمخطوطات ذات قيمة كان الكثير منها يؤخذ إثر المعارك أو يشتري أو يسلم من قبل الجنود الذين كانوا يجزون على ذلك وكانت فرحة الأمير كبيرة عندما أهداه بيروجير أحد الكتب النفيسة حيث يضيف تلك الفرحة فيما

---

[1] أحمد بن داود .**المقاومة الثقافية للأمير عبد القادر من خلال التعليم** ، مجلة عصور الجديدة ، عدد 10، جامعة وهران، 2014، ص220.

[2] أديب حرب. **التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر**، ج2، دار الرائد للكتاب،ط3، الجزائر، 2007، ص70.

[3] هنري تشرشل .المرجع السابق، ص 152.

يخص ما تقدمت إليه[1] وقام بوضع الكتب والمخطوطات التي جمعها أيضا في المساجد و الزوايا تحت تصرف العلماء و الطلبة في انتظار إنهاء مكتبته تاكدمت عاصمته الجديدة[2]

وقد بلغ عدد كتبه 5000 مخطوطة مجلدة تجليدا فاخرا أضافها لما أحضره معه من كتب في رحلته المشرقية بعضها أهدي إليه [3].

أ. تنظيم الهياكل التعليمية:

من الانشغالات المهمة التي لجأ إليه الأمير عبد القادر لنشر التربية و التعليم تركيزه على إدخال النمط الحديث لتنظيم سير تعليمه حسب مختلف المستويات و الأطوار وفق مايلي:

الطور الأول " الابتدائي":

يستغرق أربع سنوات تقريبا يتعلم فيها الطفل من خلالها القراءة و الكتابة و بعض مبادئ الحساب ، ويحفظ القرآن ، وقد تم هنا بناء المدارس في المدن و الكتاتيب في القرى إذ في كل قبيلة من القبائل كانت هناك خيمة تدعى " **الشريعة**" يشرف عليها مؤدب يختاره سكانها وينال فرنكين أجره كل يوم .

إستعان الأمير في هذا الطور بالزاوية الخاصة وعمل على تطويرها و تزويدها بكل ماتحتاج إليه من أسباب المعوقة ووسائلها سواء تعلق الأمر بالمعلمين أو الفقهاء أو الكتب والمراجع ، وذلك لأنها تعلق الأمر بالمعلمين أو الفقهاء أو الكتب والمراجع ويرجع ذلك

---

[1] محمد علي الصلابي .المرجع السابق ،ص141.

[2] أحمد بن داود .المرجع السابق ، ص 223.

[3] عائشة بن ساعد .المرجع السابق ، ص 319.

للشبكة التربوية الوحيدة المتاحة آنذاك لمواجهة متطلبات المرحلة الابتدائية[1]

الطور الثاني" الثانوي"

ويطلق عليه بعض الدارسين "الطور الإكمالي " يستطيع التلميذ هنا أن يواصل تعليمه مجانا في الجامع أو في مدرسة ملحقة بالأوقاف يشرف عليها مدرس [2] وفي حالة تفوق التلاميذ وظهور بوادر النبوغ ينتقلون إلى هذا الطور لمواصلة دروسهم، وشملت على النحو التفسير، التاريخ والإلهيات [3] وينال الطالب في النهاية غجازة غير مكتوبة إنما شفاهية من المدرس، ويصبح بالتالي طالبا يستطيع القراءة في الجامع و يتولى وظيفة مؤدب أو كاتب[4]

الطور الثالث " التعليم العالي "

يشير أديب حرب بأنه لا يوجد هناك فصل واضح بين التعليم الثانوي والعالي والأستاذة الذي يدرس في هذه المرحلة يسمى عالما يتقاضى أجرا من الأوقاف ، وكانت الدروس تشمل النحو، الفقه، الحديث، الحساب، الفلك والتاريخ وتدرس في الزوايا وفي أهم الجوامع[5]

ب. المؤسسات الثقافية :

رغم الاضطرابات وتدهور الوضع الثقافي الناتج من جراء الحرب في الجزائر حاول الأمير عبد القادر تنشيط الساحة الفنية في دولته فقدم فيها أعمال مثمرة في جميع الميادين خاصة الجانب الثقافي والعلمي مقارنة مع الفترة القصيرة[6] .

---

[1] أحمد بن داود: المرجع السابق، ص220.

[2] أديب حرب .المرجع سابق، ص 70.

[3] أحمد بن داود .المرجع سابق، ص220.

[4] أديب حرب.المرجع سابق.ص 71.

[5] أديب حرب .المرجع نفسه. ص71.

[6] عبد القادر الجيلالي. المرجع سابق، ص240.

حيث تناولت مصادر التاريخ الإنجازات التي حققتها دولة الأمير عبد القادر، ولكونه رجلا عالما مشاركا عمل على نشر العلم وبث أصناف المعرفة بين الناس من خلال اهتمامه بالعلم والدين خاصة بعد أن خيم الجهل داخل المجتمع وإدراكه أن القوة المادية وحدها عاجزة على تبليغ رسالته الإصلاحية والإنسانية[1]

لذلك لم يغفل الأمير على اهتمامه المؤسسات الثقافية والتعليمية من مساجد والزوايا المنتشرة في البلاد من اجل إعداد جيل واعي مثقف ومتشبع بمبادئه الإسلامية، ولعل من أهم المؤسسات التي ورثها الأمير عن السلطة العثمانية في تلك الفترة[2]:

مسجد المبايعة: أو سيدي حسن "عين البيضاء"المتواجدة في مدينة معسكر شيد من طرف الباي محمد بن عثمان عام 1175ن حيق عنى به الأمير عناية كبيرة ، فشهد نقلة مهمة في مسيرة الامير اذ بويعمن طرف زعماء منطقة غريس والحشم اميرا للجهاد والمقاومة ، ويمثل هذا المسجد العتيق معلما اسلاميا هاما الذي شارك في مسيرة الحياة الثقافية واستمر في تأدية رسالته الدينية والتربوية والثقافية الى ان تم نقض معاهدة تافنة من طرف العدو الفرنسي[3].

مسجد العباد: ويرجع تاريخ تشييد هذا المسجد الى العهد المريني(759هـ/1339م) وقد جدد الامير عبد القادر منبره بالإضافة الى مجموعة اخرى للمساجد المتواجدة آنذاك من بينها مسجد ابراهيم المصمودي , مسجد اولاد الامام ،سيدي زكريا ،سيدي ابراهيم ،بن عبد الله الشريف،سيدي عبد الله بن منصور،ومسجد سيدي الحسن الراشدي[4].

---

[1] عائشة بن ساعد .المرجع السابق، ص316.

[2] عبد القادر الجيلالي. المرجع السابق. ص240.

[3] يحي بوعزيز، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**. منشورات: الجزائر،2001، ENEP،ص 216.

[4] ابو القاسم سعد الله .المرجع السابق.ج8، ص103.

كما وجدت بمدينة تلمسان وحدها خمسون مسجدا بين الكبير والصغير وهذا ما يدل على أن الهياكل الثقافية كانت منتشرة وتحتل ا لمقام الأول في دولة الأمير التي أولى العناية بها[1].

وإلى جانب الدور الثقافي التي قامت به المساجد لازمها أيضا كل من الزوايا والمعاهد التي نالت فترة حكم الأمير مكانة مرموقة لانتشارها الواسع وساعد ها في ذلك تواجد عائلات مشهورة وتوارثت الوظائف الدينية والعلمية من بينها أسرة ابن التهامي التي أولت عناية خاصة لتأسيسها للزوايا والمعاهد العلمية والمدارس حيث كان لكل واحد منهم يؤسس لنفسه زاوية[2].

ومن أهم الزوايا والمعاهد العلمية الدينية التي كانت متواجدة و برزت بشكل فعال نذكر منها:

الزاوية القادرية: المتواجدة في القيطنة بوادي الحمام التي تعد من اهم الزوايا النشطة التي كانت مصدرا من المصادر العلمية و الثقافية تولاها الأمير بعد والده الشيخ محي الدين التي ورثها عن أبيه المشيخة [3]

وزاوية ابن الأحول المتواجدة في مدينتي غيلزان ومعسكر التي هي فرع من الزاوية القادرية في الغرب الجزائري أسست قبل حلول الأتراك بالجزائر اسمها الشيخ ابن الأحول إلا أنها نشطت فترة حكم الأمير، و ضمت هذه الزاوية مدرستان إحداهما خصصت للقران الكريم

---

[1] يحي بوعزيز .المرجع سابق. ص141

[2] علي بن العيفاوي. **مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني**،مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2009/2008،ص ص112 113.

[3] يحي بوعزيز.المرجع السابق ،ص245.

والثانية لتعليم مبادئ العلوم الدينية العربية بالإضافة إلى زاوية الحاج الحسن الحبيب بن عمر الذي تولى القضاء للأمير آنذاك[1].

كذلك لا ننسى مجموعة من الزوايا التي لعبت دور وساهمت في الحفاظ على المقومات العربية وإحياء التراث الإسلامي من بينها زاوية الحوت ، زاوية سيدي الشيخ بن عودة المتواجدة بناحية زمورة الغربية ، زاوية سيدي الشيخ بالبيض ، زاوية اولاد سيدي عمار بن دونة[2].

ولقد بلغ تعداد الزوايا المتواجدة في عهده حوالي ثلاثين زاوية وقدر عدد الطلبة بها نحو التسعمائة طالب. [3]

إضافة لهذا فلم تنحصر المؤسسات الثقافية في دولة الأمير على المؤسسات ذات الطابع الديني المتمثلة في المساجد والزوايا بل تعداها ذلك إلى إنشاء المكاتب العلمية ، حيث عمل على إنشاء مكتبة كبيرة بتاكدمت واعتبرت مكتبة وطنية حيث قامت بدورها لتوفير المصادر للباحثين وجمعهم للمخطوطات و المؤلفات ذات القيمة لتعم الفائدة بعدما حرص بنفسه على صيانة الكتب [4] التي عمل الإستعمار على إتلافها وحرقها في حادثة الزمالة 10ربيع الثاني 1259هـ/10ماي 1843م من طرف الدوق دومال [5] فتضمنت هذه المكتبة مجموعة من نوادر المخطوطات ونفائس المؤلفات مايقدر ثمنه خمسة آلاف ليرة ، حيث عبّر عبد القادر الجيلاني عن ألم الأمير يومئذ وهو يتبع خطوات الفرنسيين نحو المدينة لجمعه الاوراق الممزقة المتناثرة من كتبه الثمينة على طول الطريق الطويل تلك التي

---

[1] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص ص 510 511.

[2] سعد الله ابو قاسم: المرجع السابق، ج3، ص 31 32 .

[3] يحي بوعزيز: المرجع السابق ،ص141.

[4] عبد القادر بوطالب : المرجع السابق، ص 104.

[5] دومال الابن الرابع لملك لوي فيليب الأول وهو جنرال و مؤرخ من مواليد باريس 1822-1897 م برز اسمه أثناء حملة الجزائر حيث استولى على زمالة الأمير عبد القادر سنة 1843.أنظر بكاي لخضر، ص 108.

كلفته الكثير من وقته و جهده في جمعها ففقد ثمرة تعب اجيال في التمحيص والجمع والنسخ[1].

كما أشار اليكس بيلمار على لسان الأمير «ولكن الله لم يمنحني الوقت لذلك وكانت الكتب الموجهة لتشكيل هذه المكتبة موجودة في زمالة عندما استولى عليها ابن الملك وعليه فقد كان لي في ذلك ألما اضيف إلى آلامي الأخرى و انأ اتبع جيشكم وهو عائد الى المدينة في أثار الاوراق الممزقة من الكتب التي كان قد كلفني جمعا كثير من المتاعب »[2].

وإلى جانب العمل المكتبي فقد عمل الأمير عبد القادر على إيجاد نمط آخر من المؤسسات الثقافية كان له دور كبير في تنشيط الامر الثقافي في دولته ويشير في ذلك إلى المعاهد والمدارس المتخصصة في مساهمة العمل الثقافي حيث عمل الأمير عام 1845م على تجديد معهد علمي في مدينة مازونة وعند افتتاحه ألقى الأمير كلمته لم يتجاهل فيها مؤسس ذلك المعهد و ذكره بكل احترام و تقدير وهو الداي محمد بكداش اللذين حرر وهران من الاسبان عام 1708م[3] بالإضافة لتفكير الامير في تأسيسه لمدرسة عليا للطب الذي أوكل ادارتها و اشرافها طبيبه الخاص ابن عبد الله غير ان حلمه لم يرى النور بسبب قصر فترة السلم بعد معاهدة تافنة[4].

ويذكر ميرسيل إيميرت أنه كان يوجد في تلمسان وحدها خمسين مدرسة ابتدائية و معهدين كبيرين للتعليم الثانوي والعالي هما : مدرسة"الجامع الأعضم " ومدرسة "أولاد

---

[1] عبد القادر الجيلاني .المرجع السابق، ص242.

[2] أليكس بيلمار .**الأمير عبد القادر حياته السياسية و العسكرية** ، ترجمة بشير علي، دار ألف للنشر، الجزائر، 2013ن ص 107

[3] الأميرة بديعة الحسني الجزائري.**حقائق ووثائق**،ط2، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص 43.

[4] بن ساعد عائشة .**المرجع السابق**، ص 317.

الإمام"[1] وكان الأمير يفكر في بناء جامعة في تاقدامت غير أن الوقت لم يسعفه لتحقيق ذلك[2].

[1] يحي بوعزيز .**المرجع السابق**، ص 141.

[2] بوطالب عيد القادر: **المرجع السابق**، ص 90.

ثالثا: أعلام الفكر والثقافة.

شهد التاريخ أنا الأمير عبد القادر قد رفع كلا من راية الجهاد في الكفاح المسلح وراية العلم والدين في محاربة الجهل والجهلة حرصا على استرجاع الأرض وبناء دولة قائمة على متن وركائز سليمة ، فسعى إلى تدعيم دولته بأنوار المفكرين والعلماء لهذا وجد العلماء فرصة سائحة ومجالا لائقا لإرساء ما حصلوه من علم وفكر ، وقد برز في هذا المجال أعلام أجلاّء أبرزهم:

1. علي بن حفاف:

المفتي المالكي للجزائر هو علي بن عبد الرحمن بن محمد بن الحفان من مواليد المطلع القرن التاسع عشر بالعاصمة ينتمي لأسرة معتبرة لعلمها إذ كان أجداده من اهل العلم والفتوى في الجزائر لعهود طويلة [1] كان جده محمد بن الحفاف إماما خطيبا بجامع سيدي رمضان درس علي بن حفان على يد الشيخ ابراهيم الرياحي التونسي وأخذ الإجازة من الشيخ محمد الصالح الرضوي النجاري كما درس على بقايا الشيوخ في عهد الأمير عبد القادر.

انضم الى مقاومة الأمير عبد القادر في ريعان شبابه بمنطقة مليانة حيث كان الحاج محي الدين بن مبارك وقريبه محمد بن علال على راس حكومة الأمير آنذاك[2].

ترك علي بن الحفاف صدى كبير داخل البلاد وخارجها منها رسالته التي وجهها من معسكر الامير عبد القادر بمليانة حيث كان كاتبا خاصا للأمير و مترجما من نخبة علماء العاصمة الذين التحقوا بالأمير فعينه كاتبا خاصا بدائرته[3].

---

[1] بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، **موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954** ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر ، 2007،ص231.

[2] **المرجع نفسه**، ص 231.

[3] البوعبدلي المهدي،**ترجمة الشيخ المهدي البوعبدلي ويليه قسم التراجم** ،الجزائر،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013، ص 63.

ومن جملة الأدوار التي قام بها علي بن الحفان اثناء عهد الامير عبد القادر اشتراكه مع الكثير من العلماء حول مسألة الهجرة من الجزائر بعد احتلالها [1]من خلال حكمه على كل العلماء الذين لم يهاجروا من مدينة الجزائر بالكفر [2]وقام لمناصرة الشيخ دحلان المفتي الشافعي بالديار المقدسة عندما اجتمع به في موسم الحج سنة 1286هـ حول قضية البسملة وقام ايضا بعد رجوعه من الحج بتأليف رسالة سماها (الدقائق المفصلة في تحرير اية البسملة) وهي حوصلة لحديث مع الشيخ دحلان مفتي الشافعية وألف« منة المتعال في تكميل الاستدلال » الفه في اخر مرة وهو خلاصة لتجربته في تدريس علم القراءات والتجويد

و تولى علي بن الحفاف فتوى المالكية والتدريس وكان ملما لجميع المجالات السياسية والثقافية والدينية وبرز دوره الثقافي في دولة الامير عبد القادر[3].

2. الحاج علي بوطالب :

القاضي احمد المدعو الشيخ ابو طالب علي بن مصطفى بن محمد بن المختار بن القادر بن احمد بن عبد القادر الشريف الحسين عم الامير عبد القادر [4] وهناك تضارب على مكان وزمان الولادة ويذكر المهدي بوعبدلي بولادته سنة 1252هـ في القيطنة [5]بينما مصدر اخر يشير بانه ولد في حدود سنة 1198هـ/1784مفي كاشرو قرب معسكر وهو نفس المكان الذي عرف ميلاد جده سنة 1095هـ

كفله اخوه الشيخ محي الدين بعد وفاة ابوه فقرا عليه النحو والفقه والحديث وغير ذلك والى جانب اخيه محي الدين اخذ ابو طالب على علماء آنذاك وتتلمذ بهم مثل قاضي

---

[1]) بن نعيمة عبد الحق وآخرون .**المرجع السابق**، ص 232.

[2] المهدي البوعبدلي .**المرجع السابق**، ص ص64.

[3] بن نعيمة وآخرون .**المرجع السابق**، ص 233.

[4] **المرجع نفسه** .ص 245.

[5] المهدي البوعبدليك. **المرجع السابق**، ص 79.

معسكر الشيخ العلامة الحاج احمد بن المكي الخروبي وغيره [1]بعدما أصبح احد من علماء وشيوخ عصره وبجانب علاقة قرابة للأمير من خلال علاقة المصاهرة لتزويجه ابنته لالا ة خيرة للأمير، وقد وظف الحاج علي بو طالب موهبته ومؤهلاته العلمية في خدمة ابن أخيه الأمير ومقاومته ومن أهم الأعمال التي كان له وقع في حياة الأمير هي الخطبة البليغة

والمؤثرة التي ألقاها سنة 1837بهدف اقناع المعارضين لمعاهدة تافنة بقبولها لأنه يخدم مصالح الدين والوطن في نظره فالتجا اليه الأمير لإقناع المعارضين في مجلس الشورى

وذلك لمكانته الدينية والاخلاقية ومما جاء فيها «بعد الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه واله وصحبه وقد علمتم ايها السادة انه لما تكاثرت المظالم وتواطأ العمال ومن مواقفهم على ارتكاب المآلم وانتقم الرب تعالى منهم وعمنا ذلك معهم فسلط الله علينا عدو ....لله الامر من قبل ومن بعد وما قلت إلاّ بالذي علمت»[2]

وكان الشيخ بو طالب شاعرا ايضا فاغتنم فرصة الانتصار في واقعة المقطع التي كان حاضرا فيها ونظم قصيدة في الفخر والفروسية وهنأ الأمير من خلالها على النجاح[3].

وبعد حياة حافلة بالنضال والمقاومة في صفوف ابن اخيه الامير عبد القادر ونشر التعليم ادركت الشيخ المنية في منتصف شهر رمضان سنة 1258هـ/1842م بأرض اولاد ميمون القريبة من تلمسان الواقعة في الشرق منها دفن فيها بطلب من اهلها للتبرك و لكن وصيته كان ان يدفن بقرية العباد داخل مقام الشيخ ابن مدين الغوث فقام اولاده كما يقول صاحب الخلف بسرقة جثمانه ليلا و أخذوه الى حيث أوصى[4].

---

[1] بن نعيمة وآخرون . **المرجع السابق**، ص 245.

[2] المرجع نفسه. ص 248.

[3] المرجع نفسه. ص 249.

[4] المرجع نفسه. ص 250.

3. الطاهر بن حوا :

الشاعر الشعبي الرسمي للأمير من قبيلة أولاد يخلف عاصر الأمير عبد القادر وهو الذي تلا نص وثيقة بيعة الأمير وانتصاراته على العدو في بعض قصائده التي نشر بعضها في الكثير المكنون كما انه قد نظم قصيدة سيتعطف فيها الأمير و يطلب منه العفو [1] ممّا يشير إلى وجود خلاف بينهما لذلك قرب الامير من الطاهر بن حوا وأغراه بخدمة جهاده كما تصدى حواء بن الطاهر لخصوم الامير فلم يكن شاعر قبيلة وانما كان شاعر جهاد واامير وفكرة ومن شعره الذي مدح فيه الامير ودعى له بالنصر على اعدائه لقوله:

يا من درى من يوم سلطاني مبارك *** ممزوج بالمسرات و الرضا مبروك.

بلى تجد والّي تريد يجمع شملك *** ويدير ليك مولاك في المضيف سلوك [2].

4. قدور بن رويلة:

الكاتب والشاعر محمد قدور بن رويلة من مواليد 1786م نشا بالعاصمة بالجزائر بوادي العليق نواحي سهول متيجة وترعرع على مشرب ابيه متشبعا بالثقافة الاسلامية من خلال المساجد والزوايا [3] فتلقى تعليمه الأول بمسقط راسه في الجزائر العاصمة ثم التحق المدرسة الثعالبية حيث كان ابوه وكيلا على ضريح عبد الرحمن الثعالبي [4].

كما قدّم قدور بن رويلة اضافة للفكر والادب في عهد الامير وذلك للالتحاق بجيش الامير فإختاره كاتبا مميزا ومستشارا لنفسه 1843وعمل كاتبا لخليفة الامير بمدينة مليانة

---

(1) التلي بن الشيخ. **دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830 1945** ، الطباعة الشعبية للجيش الجزائري، الجزائر ، 2007، ص 447.

(2) سعد الله أبو قاسم. **المرجع السابق**، ج8، ص316.

(3) بن نعيمة واخرون..**المرجع السابق** ، ص 295.

(4) **معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر و العشرون**
21:24/16.04.2017DETAILS.POET/ORG.ALMOAJAM.WWW

(غرب الجزائر)كما انه كان من رجال الافتاء في دولته[1] بالإضافة الى ظهوره مع الامير في اغلب الوقائع والمعارك الى ان وقع في الأسرى رفقة محمد بن علال بعد كارثة الزمالة يوم 16افريل 1843[2].

والى جانب شخصية قدور بن رويلة المكافحة ضد الاستعمار الفرنسي ظهرت الشخصية الثقافية الفكرية لم يكن مجاهدا فحسب بل كان المجاهد الشاعر الكاتب وكانت له رسالة تشريعية مستوحاة من الشريعة الاسلامية تنظم الحكومة والجيش في عهد الامير وهي قانون عسكري جاءت في شكل كتاب "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب" [3] وله مجموعة من القصائد التي تزامنت فترة الامير مثل تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وبعض الرسائل المتعلقة بالمسائل الفقهية اما شعره فكان اكثر مدح للأمير وبعض من الفخر والحماسة ووصف فيها الحروب والمعارك التي خاضها الامير عبد القادر ضد المستعمر الفرنسي[4].

بالإضافة الى ابنه احمد بن رويلة من مواليد 1830الذي يعد من اكبر الشخصيات الثقافية والسياسية ايام نضال الجزائر في عهد الامير عبد القادر نشا وسط عائلة ثرية لها بوادي العريق من ارض متيجة على مشرب والده قدور بن رويلة متشبعا بالروح الدينية والثقافية والاسلامية وكان فيما اخذ منهم من علماء بلده الشيخ المحدث حمودة المقاسي[5] .

وهذا الوسط العلمي الذي نشا فيه له اثرا كبيرا في تكوينه دينيا وعلميا ووطنيا من خلاله قدم اضافة في عهد الامير بعد انضمامه للمقاومة الريفية وانخراطه في صف الامير عبد

---

(1) **المرجع نفسه.**

(2) بن نعيمة واخرون.**المرجع السابق**، ص 295.

(3) **المرجع نفسه.** ص 296.

(4) **معجم البابطين** : الموقع المتاح سابقا

(5) بن نعيمة واخرون .**المرجع السابق**، ص 296.

القادر بقيادة بن علال محمد خليفة الأمير في منطقة الشلف وملیانة ولذلك منحه الا مير فرصة لانضمامه وظيفة الشورى وكاتب الإمارة[1].

5. أحمد التهامي:

اشتغل منصب الإفتاء في مدينة وهران خلال العهد العثماني، كان متزوج بأخت الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر، كان من علماء الفقه والفقهاء، وقد لقبه صاحب القول بشيخ الجماعة، ولقبه العربي المشرفي بشيخ شيوخنا، وكان يتردد إلى مجلسه الذي يعقده بالجامع الأعظم بوهران، والذي كان مليئا بالطلبة، ويقول العربي المشرفي أيضا أنه كان من كبار المفتين، لذلك يأتيه الناس للفتوى من أماكن بعيدة وبعد احتلال الجزائر تولى رئاسة مجلس الشوري الأميري، وهو بمثابة رئيس الوزراء في دولة الأمير عبد القادر وتوفي بمصر أثناء ذهابه لأداء مناسك الحج[2].

6. مصطفى ابن التهامي:

ولد بمعسكر سنة (1205هـ/2788م)، وهو من أسرة متدينة وثرية، وقد تولى الفتوى في وهران في عهد الأتراك، وقف ابن التهامي مع الأمير عبد القادر في كل مراحل حياته، بدأ من بداية المقاومة وصولا إلى تاريخ الاستسلام.

---

[1] **المرجع نفسه:** ص 297

[2] بوعزيز، يحي .**(أعلام الفكر)المرجع سابق**. ص247.

ويعد التهامي مدرسا وشاعرا أدبيا وفقهيا [1]، تولى وظيفة التدريس في معسكر قبل أن ينغمس في الشؤون الإدارية والسياسية والعسكرية في دولة الأمير حتى بعد أخذهم إلى فرنسا، وانتهاء المقاومة، كان المدرس الأساسي لأولاد الأمير إذ تتلمذ عليه محي الدين ومحمد صاحب ((تحفة الزائر)).

تولى عدة مناصب في دولة الأمير، رئاسة كتابة الديوان الأميري، ثم نقل إلى منصب آخر وعين كخليفة على مقاطعة معسكر، وبعد سقوطها أخذ يسير مع الأمير عبد القادر ويشارك معه، حيث عينه الأمير قائد على الدائرة، وكان متمكنا في علم النحو، فكان شفيع سبويه كما يقول المشرفي [2]، وإضافة لذلك فقد برع في علوم العرض والمعاني والبيان، كما كان يقرض الشعر، ومن أبرز آثاره المكتوبة (غوسية مصطفى ابن التهامي) وهي منظومة شعرية طويلة تتكون من خمس مئة وعشرون بيتا، كتبها بقصر أميمواز بفرنسا، وفيها وصف حالته في السجن، كتب عنه أبو القاسم سعد الله يقول: « تميز بالعلم و الأدب لأكثر من القدرة على الإدارة، رغم أنه كان محاربا شجاعا » ويقول عنه أيضا بأن الكتب لم تكن تفارقه[3].

---

[1] أبو القاسم، سعد الله .المرجع السابق.ج8، ص234.

[2] لونيس، إبراهيم .**مصطفى التهامي (1788 – 1866م) العالم ورجل الدولة، مجلة عصور**، الجزائر : مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ع3، جوان 2003، ص95 –103.

[3] أبو القاسم، سعد الله .المرجع السابق.ج8، ص23.

7. العربي بن عبد القادر المشرفي:

العربي بن عبد القادر المشرفي، ولد سنة (1313هـ/1805م) بقرية الكرط ضواحي مدينة معسكر[1]، نشأ في بيئة عائلية مجبولة على ترسيخ مبادئ التربية المتأصلة في أوساط الزوايا والشرفاء، وتلقين أبنائها علوم عصرها[2].

تلقى تعليمه الأول بيت عائلته فوالده عبد القادرين على المشرفي، الذي اشتهر بين جماعته بغزارة العلم الشرعي وسمعته الطيبة، ثم التحق بكتاب بلدته الكرط، كما أورده في أحدى كتاباته جاء فيها « قرأت القرآن قبل أن أبلغ الحنب[3]».

أما شيوخه الذين تتلمذ لهم في المرحلة فمن بينهم: محمد بن عبد الله سقاط المشرفي، وقد أخذ عنه المشرفي النحو والفقه وعلم العروض، وكان يحضر مجالسه الحافلة في سرد جامع البخاري والصحيح.

كذلك من بين شيوخه أحمد بن التهامي والذي أخذ عنه الفقه وابنه مصطفى ابن أحمد التهامي والحاج عبد القادر الأحمر، ثم انتقل المشرفي إلى تلمسان بغية الاستزادة والتتلمذ على يد علمائها، وقد أشار عوضا عن مقامه بها وقراءته على يد الشيخ العقبة و الحاج

---

(1) نويهض عادل .**معجم أعلام الجزائر**. ص202.

(2) عمار هلال .**العلماء الجزائريين في فاس. مجلة الدراسات التاريخية**، ع9، معهد التاريخ الجزائر، ص41.

(3) الحنب: قبل أن يشتد عوده . ابن منظور لسان العربي، ج1، ص 335.

الدوادي التلمساني[1].

هاجر العربي المشرفي بعد الاحتلال الفرنسي سنة (1844م) إلى المغرب، فأخذ عن جماعته كبار العلماء وأرخ لأحداث الاحتلال الفرنسي في العديد من مؤلفاته كشاهد عيان في أحاث عصره، كما شارك إلى جانب إخوانه المجاهدين في المقاومة ومن مؤلفاته: « ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول »، « ياقوتة النسب الوهاجة »(**أنظر الملحق رقم(08)**) وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولي مجاجة، « درا الشقاوة » « الحسام المشرفي للمهاجر المفتي »،« فتح المنام »، « النجم الثاقبة »[2].

8. الطاهر المشرفي:

وهو الطاهر بن عبد الله المدعو بن دح المشرفي، تولى قضاء مدينة وهران، وقد تلقى العلم في المغرب الأقصى فدرس في مدينة فاس عند الشيخ عبد القادرة بن شقرون، والطيب بن كيران، وتتلمذ أيضا عند الشيخ أحمد التهامي مفتي وهران [3] ، ومن مؤلفاته « عقد الجمان الملتقط » من فخر ناموس الحقيقة الوسط « وشرح الدرة الشريفة [4] إلى أصول الطريقة» شرح في هذا الكتاب منظومة والده عبد القادر أبي عبد الله المشرفي، المسماة بـ «

---

[1] وهو أبو محمد الحاج الداودي التلمساني، الفقيه النحوي المحدث، تولى قضاء تلمسان قبل الاحتلال ثم هاجر إلى فاس وتوفي بها بعد ذلك سنة (1854م).

[2] شرف، عبد الحق.**العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي (1895م) حياته وآثاره**، رسالة ماجيستر: جامعة وهران، 2007/2006، ص 62-108.

[3] البوعبدلي، المهدي . **رسائل في التراث والثقافة** . تحقيق أبو القاسم، سعد الله، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى: الجزائر،2010، ص49-142.

[4] هي منظومة تلخص كتاب أصول الطريقة لأحمد زروق.

الدرة الشريفة »، وقال عنه العربي المشرفي في كتابة « طرس الاخبار » بأنه « كان على منهاج والده، نقله ملك الأتراك إلى وهران للانتفاع به، وكانت العلماء تختلف على مجلسه العلمي، ورتب له أمام الوقت ستين دينار ذهبا في الشهر على قراءته كتاب التخليص » وقد شغل عضو في مجلس الشوري الأميري في دولة الأمير عبد القادر[1].

[1] بوعزيز، يحي .(**أعلام الفكر**)المرجع سابق. ص232.

الخاتمة

عرف بايلك الغرب الجزائري خلال نهاية القرن الثامن عشر مرحلة جديدة من تاريخه،والمتمثلة في انتقاله إلي العهد العثماني،يعود ذلك الفضل للباي محمد الكبير ،حيث حاول العديد من البايات قبله تحرير المنطقة من الاحتلال الاسباني إلا أنها باءت بالفشل،ورغم نجاح الباي في ذلك إلا انه استطاع إرجاع مكانة المنطقة(بايلك الغرب) خاصة بنقل عاصمة البايلك إلى وهران والعمل علي إعادة إحياءها من جديد، وإخضاعها لجهاز إداري يقوده هو ومجموعة من الموظفين.

لقد أنجز الباي العديد من المشاريع في مختلف المجالات السياسي والاقتصادي والثقافي خاصة الذي هو موضوع بحثنا، جعله يدرك مدي أهمية هذا الجانب في المجتمع وأن بناء المؤسسات الثقافية والتعليمية أصبح ضرورة تفرضها الظروف الحضارية، ولتكوين نخبة تقود المجتمع في المستقبل،فرغم أن المساجد والزوايا كانت تقوم إلي جانب وظيفتها التعبدية والدينية بوظائف تربوية تعليمية، وعليه كان الباي يهدف إلي إصلاح ثقافي غايته الأسمى إعادة بعث الشريعة الإسلامية الصحيحة السليمة من الخرافات والأباطيل التي عششت في ضل تفشي الأمية والجهل وإعداد رجال المستقبل، فانشأ الباي المدرسة المحمدية بمعسكر لتكون منارة للعلم، ومن خلال هذا ندرك مدي دهاء وحنكة الباي محمد الكبير ،حيث استطاع النهوض بالجانب الثقافي والفكري من جهة، ومن جهة أخري استغل المدرسة بعلمائها وطلبتها في تحرير وهران بشكل نهائي من الاحتلال الاسباني،فخرجوا للجهاد وأقامو

بجبل قرب وهران،وكانوا هناك يدرسون ويتلون القرآن ويحاربون، بذلك تحولت إلي قلعة عسكرية وزاوية ومدرسة متنقلة.

وعقب وفاة الباي واجهت المنطقة عدة اضطرابات داخلية،فظهرت ثورة درقاوة التي امتدت مدة طويلة منذ عهد الباي مصطفي المنزالي إلي غاية حكم الباي قارة باغلي،الي جانب الثورة التجانية كذلك،وقد أثرت هذه الثورات في العلاقات السائدة بين الحكام العثمانيين والمجتمع، وهذا ما جعل الحياة الفكرية والثقافية خلال هذه الفترة في جمود.

عموما لقد شارك بايلك الغرب الجزائري مشاركة فعالة في المسيرة الثقافية الواسعة التي عرفتها إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، وأرسي علماء وفقهاء ومثقفوا، الإقليم أسس الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، وقدموا جهودا وعطاءات فكرية معتبرة ورفيعة المستوي.

والحقيقة أن هذه الجمهور من العلماء والأدباء والفقهاء تؤكد بالبرهان الساطع المنزلة الثقافية التي يحضى بها الغرب الجزائري بين مختلف حواضر الإيالة، وتنفي بذلك الأقوال التي تزعم بان بلاد الجزائر خلال العهد العثماني شهدت جمودا فكريا وثقافيا.

لكن ومع الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، عمدت السلطات الفرنسية علي تنفيذ سياساتها ومخططاتها م ن خلال تثبيتهم للديانة المسيحية واللغة الفرنسية، فحاربت بذلك المؤسسات التعليمية ونفت العلماء والمفكرين الي خارج البلاد، كما قامت بتعذيبهم وقتل البعض منهم لفتح المجال أمام سياستها، وبهذا بدأ التعليم بالتراجع بسبب الحروب الكثيرة مع

الاستعمار ومشاركة الطلبة فيها، وبالتالي فان الحركة الثقافية والتعليمية بالجزائر قد عانت بفعل السياسة الاستعمارية.

إلا أن المجتمع الجزائري لم يقف مكتوف الأيدي، بل واجهها بمختلف الوسائل وظهرت به قادة حملت علي عاتقها لواء الجهاد، وهذا ما فعله الأمير عبد القادر الذي تكون علي يد أسلافه تكوينا صحيحا،فقدم انجازات عديدة لاتقل أهمية عن انجازاته في الميدان السياسي والعسكري، ففتح جبهة مقاومة جديدة علي الاستعمار لم تتوقف إلا بوفاته،وأسس تجربة رائدة في ميدان التعليم لمواجهة الاستعمار، لكن رغم قصر مدة هاته التجربة وانشغاله بالحرب،فقد أعطت هذه التجربة نتائج ايجابية تمثلت في،إقبال السكان علي إرسال أبنائهم إلي المدارس بالإضافة إلي أنها تعبر عن وعي الشعب بمخاطر السياسة الاستعمارية، وضرورة مقاومتها علي مختلف الجبهات، بما في ذلك الجبهة الثقافية والفكرية.

وأخيرا أرجو أن تكون محاولتي قد وفقت في سد جانب من جوانب تاريخنا الوطني وأعطيت الموضوع حقه من الدراسات والبحث وان ما توصلنا إليه من خلاصات ونتائج لتعدو أن تكون مساهمة متواضعة علي الدرب وليست نهاية الدراسة لان الدراسة التاريخية لا تعرف التوقف بسبب ظهور وثائق جديدة تزيد في إثراء الموضوع.

الملاحق

الملحق رقم(01) :

مسجد الباشا بوهران

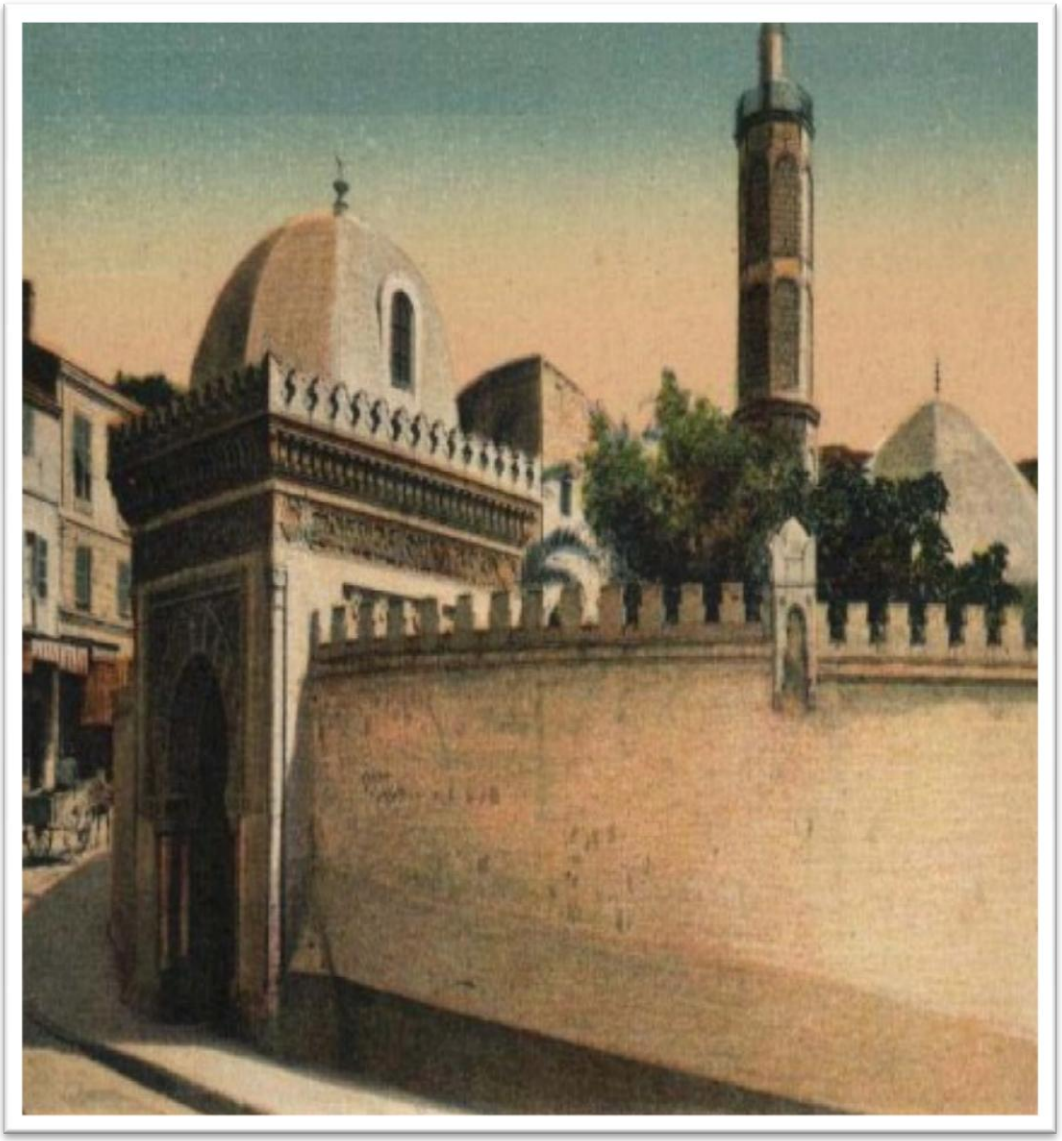

الملحق رقم(02) : مسجد الباي محمد الكبير

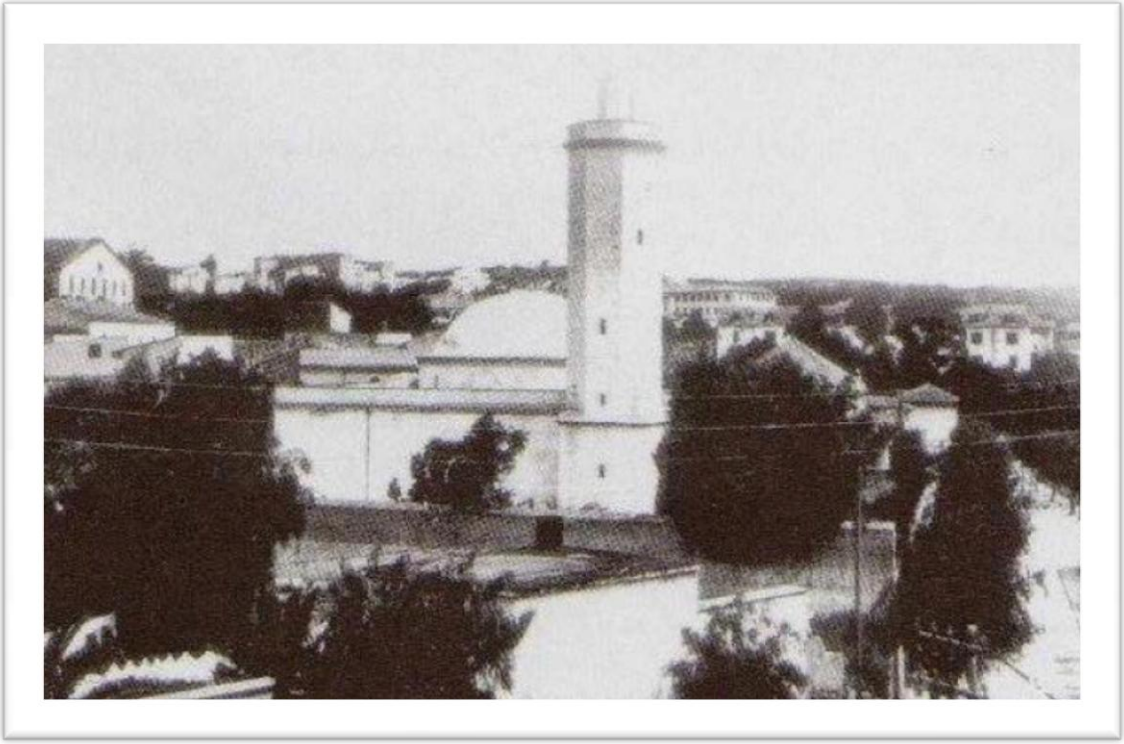

الملحق رقم(03) : مسجد محمد الكبير

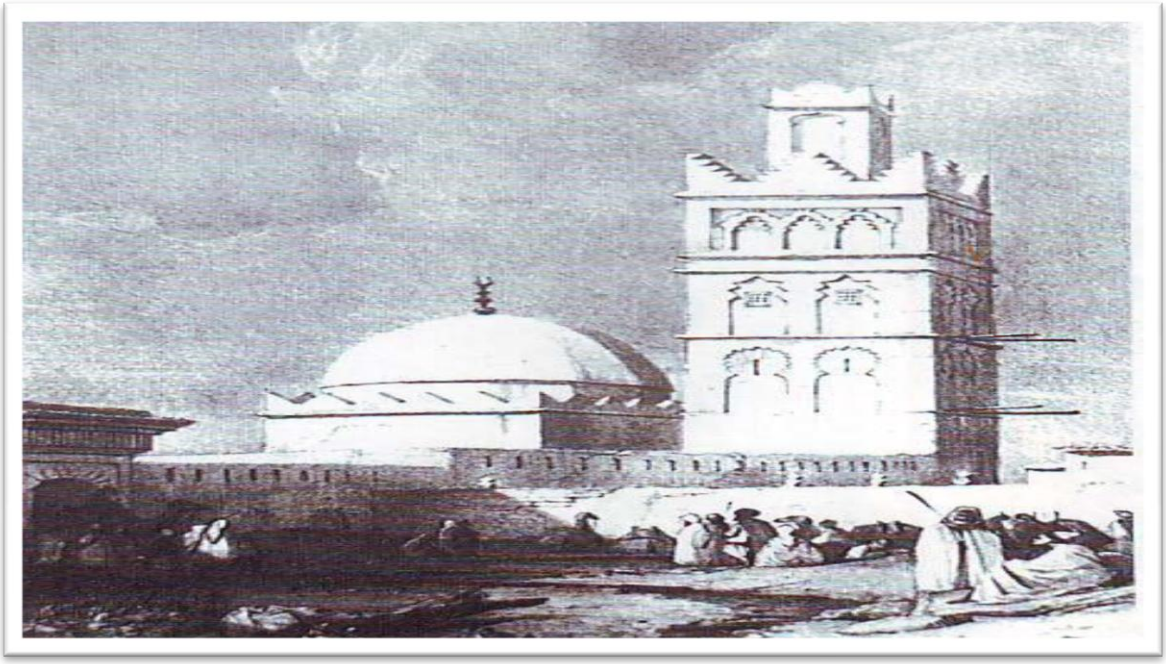

الملحق رقم(04) : مسجد محمد الكبير – الفناء –

الملحق رقم(05) : حمام المور

الملحق رقم (06) : قصر الباي محمد الكبير 1833م

الملحق رقم(07) :

مخطوط فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته لأبي راس الناصري المعسكري

بن العيفاوي علي، المرجع السابق،ص146

الملحق رقم(08) :

مخطوط ياقوتة النسب الوهاجة العربي المشرفي .

شرف عبد الحق، المرجع السابق، ص174

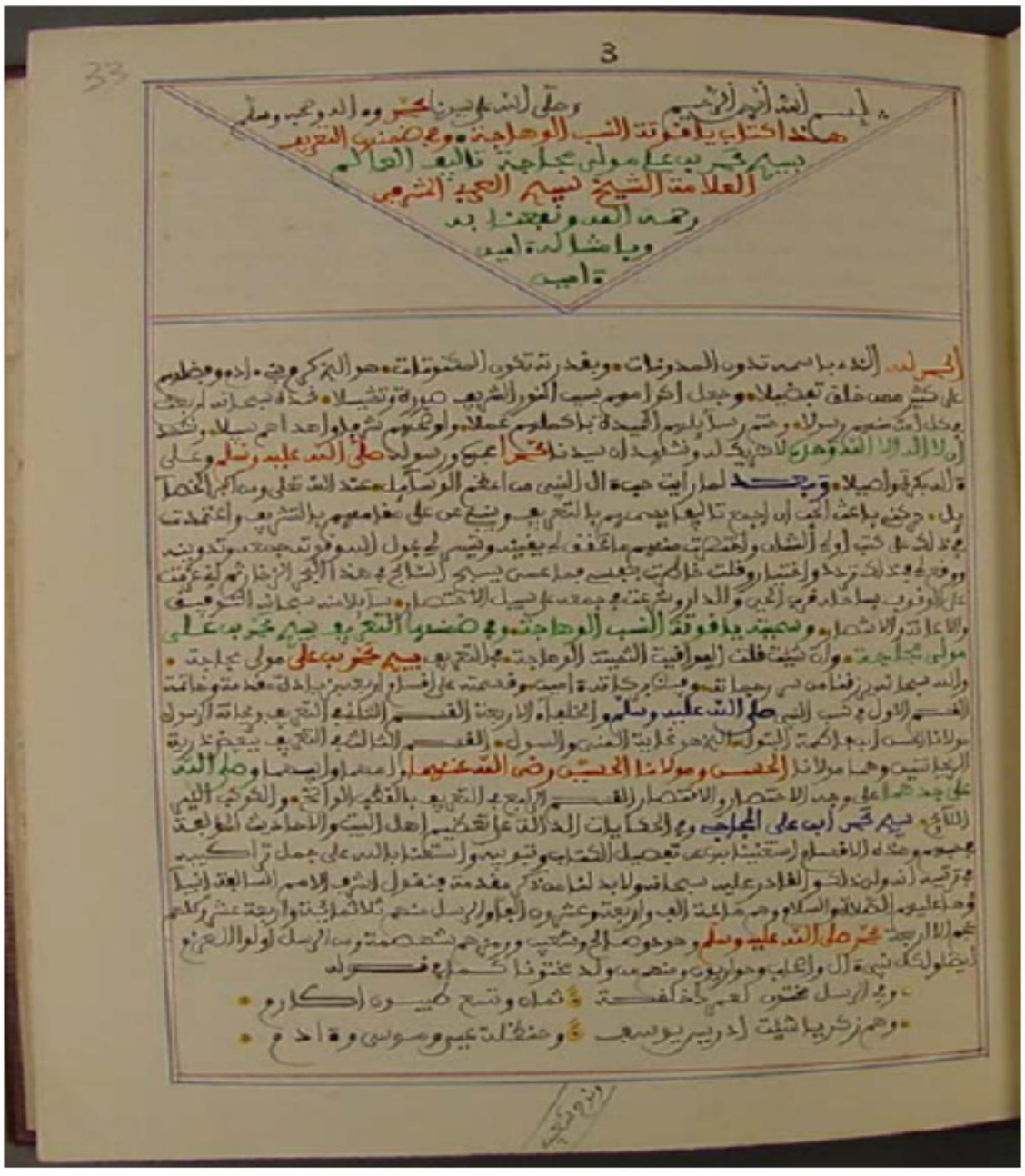

خريطة توضح حدود الجزائر وتقسيمها الإداري التي تم تشكيلها خلال القرن السادس عشر.

فكاير عبد القادر، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وأثاره

(910–1206هـ/1505–1792م)، دار هومة، الجزائر، 2012، ص31

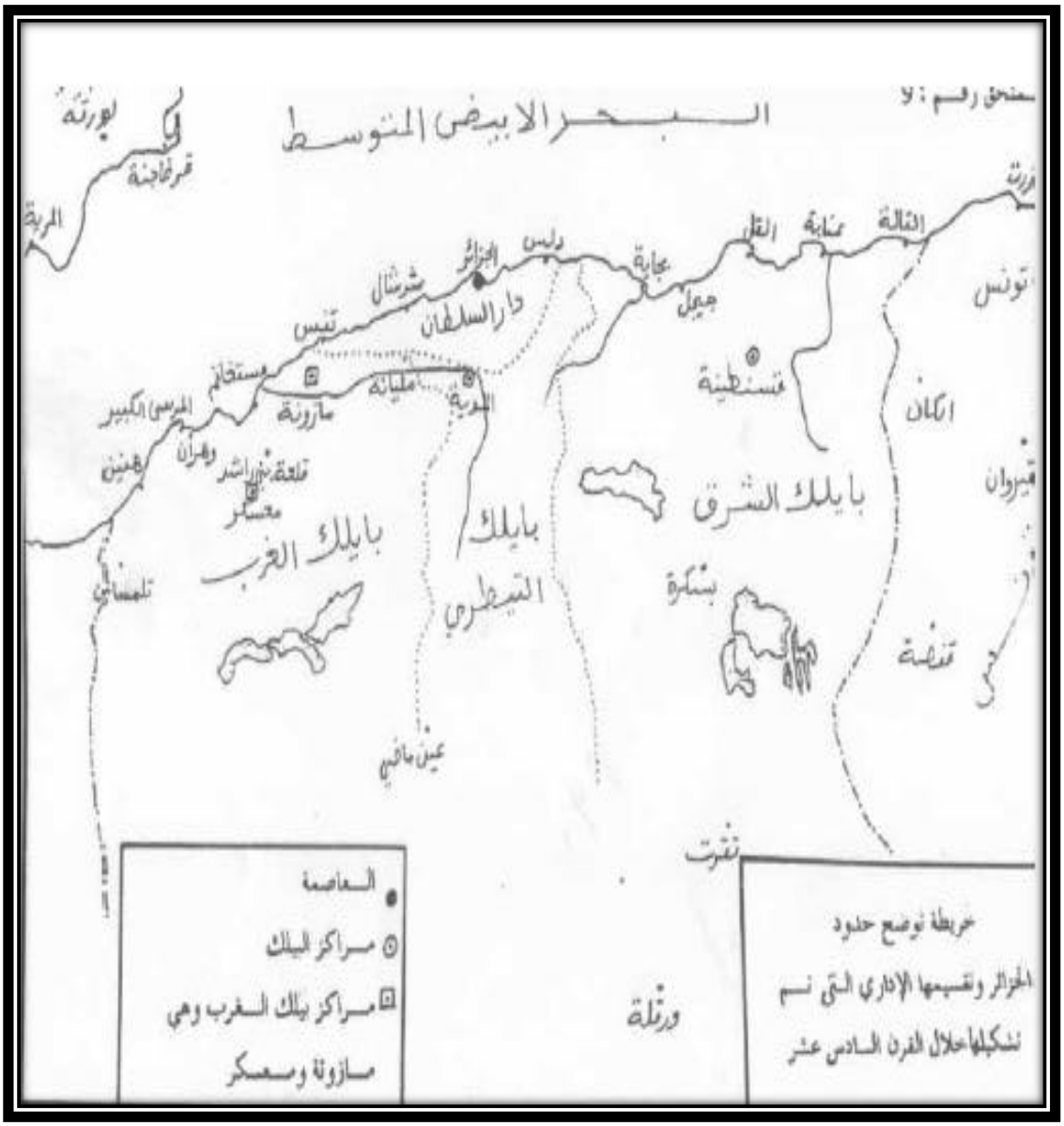

البيبليوغرافي

المراجع:

1. الأميرة بديعة الحسني الجزائري.**حقائق ووثائق**،ط2، دار المعرفة، الجزائر، 2008.
2. أليكس بيلمار .**الأمير عبد القادر حياته السياسية و العسكرية**، ترجمة بشير علي، دار ألف للنشر، الجزائر، 2013.
3. البشير الإبراهيمي، محمد .**عيون البصائر**. ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزريع: الجزائر، 1971.
4. الهواش، أبو بكر محمود .**لمحة حول الكتاب و المكتبات في الحضارة الإسلامية** . جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: طرابلس .1986.
5. الطاهر، جنان . **مازونة عاصمة الضهرة(ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري)** . مكتبة الرشاد للطبع والنشر والتوزيع: الجزائر، 2005.
6. المعلم بطرس الشباني .**محيط المحيط**.ط3، مكتبة ناشرون: بيروت، لبنان، 1998.
7. **الموسوعة العربية المسيرة**. الشعب: القاهرة،(د.ت).
8. **الموسوعة العربية العالمية**. ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، 1999، مجلد17
9. المزاري ، آغاين عودة
10. الفيروز، آجادي .**قاموس المحيط**. ط6، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة: بيروت.
11. الراشدي أحمد، ابن سحنون
12. التلي بن الشيخ. **دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830 1945** ، الطباعة الشعبية للجيش الجزائري الجزائر، 2007.
13. الزبيري محمد العربي، **الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية للطباعة: الجزائر، 1982.
14. ابن منظور،محمد مكرم بن علي . **لسان العرب المحيط**. المجلد الثاني، دار لسان العرب: بيروت.
15. أنور أحمد، بدر .**مختارات في المعلومات المكتبات**. (ذ.ن)، القاهرة (د.ت)
16. أبو راس الناصري .**الإلاة ومنتهى في التحدث بفضل ربي ونعمة " حياة أبي راس الذاتية و العلمية** . تحقيق وضبط وتعليق محمد بن علي عبد الكريم الجزائري،م.و.ك: الجزائر،1990.
17. أبو القاسم، سعد الله .**تاريخ الجزائر الثقافي**. ع1، 1500–1830، دار البصائر: الجزائر، 2007.
18. أبو القاسم، سعد الله .**محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث–بداية الاحتلال–**. ط3، ش.و.ز.ت: الجزائر، 1982.
19. أبو القاسم، سعد الله . **بعض التحولات في مسيرة التعليم بالجزائر خلال العهد لعثماني(1518–1820م)**، البصائر، ع1.
20. أبو القاسم، سعد الله .**الحركة الوطنية الجزائرية (1900–1930م)**. ج2، دار الغرب الإسلامي: بيروت، 1992.
21. ابن خلدون .**مقدمة**. دار مكتبة الهلال: بيروت،1991.

22. أديب حرب. **التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر**، ج2، دار الرائد للكتاب،ط3، الجزائر، 2007.
23. آيات علجت، محمد الصالح .**صحف النصوص الجزائرية من 1920 –1955م**. ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر،2001.
24. بن عبد القادر بن علي، عبد المالك .**الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا**. ج1و2، ط1، مطبعة دار الجزائر العربية: دمشق،1966.
25. بن القادر، محمد .**تحفة الزائر**. دار اليقظة العربية: بيروت، 1964.
26. بن ميمون الجزائري، محمد .**التحفة المرضية في الدولة الباكداشية في بلاد الجزائر المحمية** . ت.ت: بن عبد الكريم، محمد، ش.و.ن. ت: الجزائر، 1972.
27. بوروبية، رشيد. **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية** ، ترجمة د. إبراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع: الجزائر، 1979.
28. بوطالب، عبد القادر . **الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية** ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية: الجزائر، 2010
29. بلحميسي، مولاي .**دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن العشرين في العصر**. ع11، 01 أكتوبر،: الجزائر
30. بوعبدلي، المهدي . **رسائل في التراث والثقافة** . تحقيق أبو القاسم، سعد الله، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى: الجزائر،2010
31. بوعزيز، يحي. **مدينة وهران عبر التاريخ**. دار الغرب للنشر والتوزيع: الجزائر، (د . ت)
32. بلهاشمي، ابن بكار .**حاشية رياض النزاهة على منظومة نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت و أولياء الله و أذكار الكتاب و السنة**. مطبعة ابن خلدون: تلمسان، 1961.
33. ونيس، إبراهيم .**مصطفي التهامي (1788 – 1866م) العالم ورجل الدولة، مجلة عصور** ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع: الجزائر، ع3، جوان 2003.
34. مهريس، مبروك .**المساجد العثمانية بوهران ومعسكر**. ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، 2009.
35. هنري تشرشل. **حياة الامير عبد القادر،ترجمة**،ابو القاسم سعد الله،تونس،دار التونسية للنشر،1974.
36. محمد بن مضان، اوش . **باقة السوسان في تصريف تلمسان عاصمة الدولة بني زيان** . ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، 1995.
37. محمود المهدي، شعيب .**أم الحواضر في الماضي والحاضر**. مطبعة البحث: قسنطينة،1980.
38. مهدي، إبراهيم .**المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى (1850–1912م).** دراسة تاريخية واجتماعية، دار الاديب: وهران،2006.
39. **معجم البابطين لشعراءالعربية في القرنين التاسع عشر و العشرون** 21:24/16.04.2017details.poet/org.almoajam.www
40. نيران، إيفون .**المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة–المدارس و الممارسات الأجنبية والدين (1830–1880م)**. ت. اوزغلة، عبد الكريم. مراجعة و إشراف ماضي،مصطفى. دار القصبة للنشر و التوزيع: الجزائر، 2007.
41. نويهض، عادل .**معجم أعلام الجزائر من صدور الإسلام حتى عصرنا الحاضر**. مؤسسة نويهض الثقافية

للتأليف الترجمة والنشر: بيروت، لبنان.
42. عثمان، عبد الستار .**نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكة الباقية بمدينة القاهرة**. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،2000.
43. عثمان، عبد الستار .**المدينة الإسلامية**. ط1، دار الآفاق العربية: القاهرة.
44. عميراوي، حميدة . **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840م)**. ط1، دار البعث: الجزائر،2005.
45. روم،لاندو .**تاريخ المغرب في القرن العشرين**. ت.نيقولا زيادة، دار الثقافة: بيروت، 1963.
46. سعيدوني، ناصر الدين . **عصر الأمير عبد القادر** ، ط 1، مؤسسة جائزة العزيز سعود البسايطين للإبداع الشعري: الكويت، 2000.
47. سعيدوني، ناصر الدين . **من التراث التاريخي و الجغرافي في الغرب الإسلامي** ،ط1، دار الغرب الإسلامي: بيروت، 1999.
48. شلبي،أحمد .**موسوعة التاريخ الإسلامي**. ج1، مكتبة النهضة: القاهرة.
49. شرف الدين، عبد التواب. **لمحة حول الكتاب و المكتبات في الحضارة الإسلامية** . ط 1، دار الثقافة: الدوحة.1986.
50. شاوش، محمد بن رمضان .**باقة السوسان**. ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، 1985.
51. تركي، رابح .**التعليم القومي والشخصية الجزائرية(1930-1965م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
52. حسن الزاي، أحمد .**في الفنون الإسلامية**. دار الرائد العربي: بيروت، 1981.
53. خوجة، حمدان بن عثمان . **المرآة**. تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبير، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية: الجزائر،1982.
54. قاسي، فريدة .**الدولة في فكر الأمير عبد القادر (1832 -1847م)**، منشورات البونة للبحوث و الدارسات: الجزائر، 2012
55. خلوصي، محمد ماجد. **عمارة المساجد**. دار قباس للطباعة و النشر و التوزيع، 1986.
56. خليفي، عبد القادر .**المقاومة الشعبية لشيخ بوعمامة**. دار العرب للنشر والتوزيع، بيروت،2004.
57. قدور، إبراهيم عمار. **زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها ونشأتها** . ديوان المطبوعات الجامعية،المطبعة الجهوية :وهران، 1997.
58. غالب، عبد الرحيم .**موسوعة العمارة الإسلامية**،ط1، جروس بيرس: بيروت،1988.

مقالات الدوريات:

59. بن عتو، بلبروات .الباي محمد الكبير باي وهران(1779 -1797م)حياته وسيرته. مجلة عصور، منشورات مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران: الجزائر، ع3، جوان 2003.
60. بوعبدلي، المهدي . أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي . مجلة الأصالة، العدد 08، السنة الثانية، جمادى الأول 1392هـ/ ماي،جوان 1972
61. بوعبدلي، المهدي ." وثائق أصلية تلقي أضواء على حياة الأمير عبد القادر ". مجلة الثقافة، ع75: الجزائر، 1983.
62. بوعبدلي، المهدي . الرباط والغداء في وهران والقبائل الكبرى . مجلة الأصالة، العدد 13، ربيع الأول 1393هـ/مارس 1973م

63. بوليربي،(Bolerby) .المجلة الشرقية الجزائرية. عدد 1853
64. بن عتو، بلبروات .الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته (1766-1791م). مجلة عصور، منشورات مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران: الجزائر، ع6و7.
65. ضاليي، عمار .الامير عبد القادر و التصوف. مجلة الثقافة، العدد 75، جوان 1983.

أعمال أطروحات جامعية:

66. الزين، محمد .**العمارة الدينية الإسلامية في منطقة ندرومة من خلال نموذجين الجامع الكبير وزاوية سيدي محمد بن عمر**. رسالة ماجستير (منشورة)، قسم الثقافة الشعبية: جامعة تلمسان، 2002-2003.
67. الواليش، فتيحة. **الحياة الحضاري في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**. رسالة ماجستير(منشورة)، معهد التاريخ: جامعة الجزائر، 1993 – 1994
68. العرج، عبد العزيز .**المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية.** دكتورة دولة: جامعة الجزائر، 1999
69. بن حامد، عبد القادر .**مكتبات المساجد في حواضر شمال الغر الجزائري و أثرها...**. مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد: تلمسان.
70. بن يليس، حكيم . **العناصر المعمارية و ضيفتها و زخرفتها في المساجد**. تلمسان (مذكرة ماجستير: تلمسان، 2004-2005).
71. بوكفة، يوسف .**مدرسة مازونية الفقهية: النهضة و السقوط**. رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علوم الاجتماع، جامعة وهران: السنة الجامعية (2002-2003)
72. علي بن العيفاوي. **مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني** ،مذكرة ماجستير،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2009/2008
73. ميسوم، ميلود . **مدرسة مازونة " دراسة تاريخية فنية "**. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفنن الشعبية، جامعة بي بكر بلقايد: تلمسان،2003/2002.
74. عزوق عبد العزيز، محمد الصالح .**تطورات نضام المآذن في المغرب الأوسط**. رسالة ماجيستر: جامعة الإسكندرية
75. عربية، موساوي .**الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العصر العثماني** . دراسة أثرية معمارية: رسالة ماجيستر في علم الاثار1990-1991.
76. شرف، عبد الحق. **العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي (1895م) حياته وآثاره** ، رسالة ماجيستر: جامعة وهران، 2007/2006.
77. حملاوي، علي. **المنشأة المعمارية للباي محمد الكبير بمدينة وهران (1779-1799م).** دراسة معمارية، رسالة ماجستير في آثار الأساسية: جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2008-2009.
78. خليل، كمال .المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر التأسيس والتطور(1850-1951م)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري: قسنطينة، 2007-2008.

المراجع الأجنبية:

1. Sari, Djilali .**Les Villes Par Coloniales De L'Algérie Occidental–Nédroma–Mazona– Kala**. SNED, Ager:1978.
2. Xavier Comppolami et Octave Dépont .**Les confréries religieuses musi....** Adolphe Jordan, alger 1897.